



DIFI

معهد الدوحة الدولي للأسرة
Doha International Family Institute
المعهد لدراسات السياسات الأسرية
Research to advance family policies



تأثير الحصار على الأسر في قطر



تأثير الحصار على الأسر في قطر



معهد الدوحة الدولي للأسرة
Doha International Family Institute
البحوث لدعم السياسات الأسرية
Research to advance family policies

الطبعة الثانية باللغة العربية، ٢٠١٨

دار جامعة حمد بن خليفة للنشر

صندوق بريد 5825

الدوحة، دولة قطر

www.hbkupress.com

حقوق النشر © معهد الدوحة الدولي للأسرة، ٢٠١٨

يتمتع هذا العمل برخصة مشاع إبداعي دولية تتيح الاستغلال غير التجاري وبدون اشتقاق (CC BY-NC-ND 4.0).

يمكنكم زيارة الموقع الرسمي للناشر للحصول على آخر نسخة: www.difi.org.qa

للاقتباس:

معهد الدوحة الدولي للأسرة، "تأثير الحصار على الأسر في قطر". الدوحة، قطر: ٢٠١٨



فريق المشروع

دكتورة عزة عبدالمنعم، معهد الدوحة الدولي للأسرة؛ دكتورة أسماء العطية، جامعة قطر؛
دكتورة بتول خليفة، جامعة قطر؛ دكتورة فاطمة الكبيسي، جامعة قطر؛ دكتور عبدالله بدوح،
معهد الدوحة الدولي للأسرة؛ الأستاذة نجلاء العبيد، جامعة قطر؛ الأستاذة عائشة السلطان،
معهد الدوحة الدولي للأسرة؛ الأستاذ أحمد عارف، معهد الدوحة الدولي للأسرة.

المحتويات

٧	معهد الدوحة الدولي للأسرة
٧	شكر وتقدير
٩	تقديم
١١	ملخص الدراسة
١٥	الفصل الأول: الخلفية وأهداف البحث
١٥	١.١ مقدمة
١٨	٢.١ أهداف الدراسة
١٨	٣.١ الجانب الاجتماعي
١٩	٤.١ الجانب النفسي
٢٠	٥.١ الجانب الاقتصادي
٢١	٦.١ الجانب التعليمي
٢٣	الفصل الثاني: تصميم البحث وأدواته
٢٣	١.٢ العينة
٢٤	٢.٢ التحليل
٢٥	الفصل الثالث: النتائج والتحليل
٢٥	١.٣ التحديات الاجتماعية
٢٥	١.١.٣ تشتت الأسر
٢٦	٢.١.٣ الصراع بين أفراد الأسرة
٢٧	٣.١.٣ ضعف التواصل بين أفراد الأسرة
٢٨	٢.٣ التحديات النفسية
٢٨	١.٢.٣ الصدمة النفسية
٢٩	٢.٢.٣ الخوف والقلق
٣٠	٣.٢.٣ مشاعر الحزن والأسى
٣٠	٤.٢.٣ تناقض المشاعر

٣١	٥.٢.٣ فقدان الإحساس بالأمن والأمان
٣١	٦.٢.٣ المعاناة النفسية
٢٣	٧.٢.٣ الإساءة النفسية عبر وسائل التواصل الاجتماعي
٢٣	٣.٣ التحدّيات التعليمية
٢٣	١.٣.٣ الشعور الآمن في مدارس قطر
٣٣	٤.٣ التحدّيات الصحية
٣٣	١.٤.٣ الشعور بالصدمة
٣٣	٢.٤.٣ التأثير المادي على تكاليف الصحة
٣٣	٣.٤.٣ كبار السن ورعايتهم الصحية
٣٤	٥.٣ الآثار المترتبة على رفاه الطفل
٣٤	١.٥.٣ خطر السفر
٣٦	٢.٥.٣ التنمّر في المدارس
٣٧	٣.٥.٣ تأثير شبكات التواصل الاجتماعية
٣٧	٤.٥.٣ التحصيل العلمي والاستمرارية
٣٨	٦.٣ العلاقات الزوجية
٣٩	٧.٣ التأثير المادي

٤١ الفصل الرابع: الآثار والاتجاهات المستقبلية

14	١.٤ تطبيق برامج التدخّلات
34	٢.٤ برنامج التدخّلات من أجل الأطفال
٤٢	١.٢.٤ الأماكن الآمنة للأطفال
٤٢	٢.٢.٤ الآليات المجتمعية لحماية الطفل
٤٢	٣.٢.٤ الدعم المدرسي
٤٤	٣.٤ دعم الأسرة
٤٤	٤.٤ الإسعافات الأولية النفسية

٤٥ الفصل الخامس: الخاتمة

٤٦ المراجع

معهد الدوحة الدولي للأسرة

تأسس معهد الدوحة الدولي للأسرة، عضو مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، عام ٢٠٠٦ بهدف تمكين الأسرة من خلال إجراء ونشر البحوث العالية المستوى المعنية بالأسرة العربية، وتشجيع تبادل المعلومات حول موضوعات ذات صلة بها، وإيلاء الأولوية لها على أجندات واضعي السياسات عبر تعزيزها ومؤازرتها على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية. ويتصدّر قائمة المبادرات الأبرز التي أنجزها المعهد، المؤتمر السنوي حول البحوث والسياسات الأسرية، و«منحة أسرة» البحثية بالتعاون مع الصندوق القطري لرعاية البحث العلمي، وهي منحة بحثية تشجّع على إجراء البحوث ذات الصلة بالأسرة العربية وسياسات الأسرة. ويتمتع المعهد بوضع استشاري خاص مع المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة.

لمعرفة المزيد عن معهد الدوحة الدولي للأسرة، يرجى زيارة www.difi.org.qa.

لمعرفة المزيد عن مؤسسة قطر، يرجى زيارة www.qf.org.qa.

شكر وتقدير

يطيب لمؤلفي هذا التقرير التعبير عن بالغ تقديرهم لمعهد الدوحة الدولي للأسرة لقيادة هذا المشروع البحثي، وكذلك خالص الشكر لكل من أدلى بمعلومة ساعدت في إعداده بأي شكل من الأشكال، ونخص بالذكر كل من وافق على إجراء مقابلة شخصية وبذل الوقت لتقديم المعلومات القيّمة. وفي هذا الصدد، لا يفوتنا أيضًا إلا أن نعرب عن موفور التقدير للجنة الوطنية لحقوق الإنسان على الدعم المقدم لإنجاز هذا التقرير.

تقديم

يسرنا أن نقدّم هذا التقرير الهام حول «تأثير الحصار على الأسر في قطر»، والذي يأتي بعد عام من حصار دولة قطر مرّت خلاله البلاد بتجربةٍ غير مسبوقة، تجاوزت أبعادها السياسية أروقة المكاتب لتمتدّ إلى الحياة الاجتماعية والمعيشية للأسر.

ومن ثم، كان لزاما علينا كمعهدٍ معنيّ بتقديم الأدلة العلمية وتطوير البنى المعرفية الخاصة بالأسر واستجابات السياسات ذات الصلة، أن نولي أهمية خاصة لهذه الدائرة البحثية الطارئة على المستوى الوطني ليطمّ اختبار وتقييم مدى تأثر الأسر في دولة قطر بالحصار، وبالأخص الأسر المختلطة التي تجمع إحدى جنسيّات دول مجلس التعاون الخليجي المشاركة في الحصار.

ولعلّ الناظر عن قرب يجد أنّ الأسر الخليجية تجمعها روابط دم وقرابة ونسب بالإضافة إلى القواسم المشتركة الثقافية، والدينية، والقيمية التي تتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية. ولهذا السبب، مثل الحصار أزمة غير مسبوقة مع بعض دول الخليج، أحدثت شرحاً في هذه المنظومة وتركت تداعياتٍ جمّة على الأسرة من مختلف النواحي الاجتماعية، والنفسية، والصحية، والتعليمية، والمادية، وغيرها من التأثيرات - موضع دراسة هذا التقرير - التي نالت من رفاه الأسرة وأفرادها.

ولا يسعنا، ونحن بصدد تقديم هذا التقرير، إلا أن نتوجّه بخالص الشكر لكل من شارك في هذا المشروع البحثي الهام، وأخص بالشكر الباحثين من جامعة قطر الذين لم يدّخروا جهداً للإسهام في هذه الدراسة باعتبارها مشروعاً علمياً للتوثيق المنهجي لآثار الحصار على الأسرة، وزملائي الباحثين في معهد الدوحة الدولي للأسرة الذين أخذوا على عاتقهم هذه الدراسة كمسؤولية علمية ووطنية. كما أقدم الشكر لجميع المبحوثين موضع الدراسة الذين ساهموا في توفير المعلومات وشاركوا تجاربهم مع الحصار، فلولاهم ما كان لهذا العمل أن يتمّ.

وأخيراً وليس آخراً، لا تقتصر الأهمية العلمية لهذا التقرير في توفّر المعرفة المنضبطة منهجياً حول آثار الحصار على الأسرة في قطر، بل تتعرّز أهميته في تقديمه لأدلة علمية يمكن للجهات المعنية ومقدّمي الخدمات الاستفادة منها في تصميم وتطوير السياسات والبرامج والتدخلات اللازمة، بما يقوّي التماسك والرفاه الأسري في دولة قطر.

السيدة نور المالكي الجهني
المدير التنفيذي
معهد الدوحة الدولي للأسرة



ملخص الدراسة

أجرى هذه الدراسة معهد الدوحة الدولي للأسرة، عضو مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، بالتعاون مع باحثين من جامعة قطر؛ وقد تلقت الدراسة موافقة أخلاقيات البحوث من جامعة قطر.

وهدفت هذه الدراسة إلى تقييم أثر الحصار - الذي فرضته كل من المملكة العربية السعودية، ومملكة البحرين، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومصر في ٥ حزيران/يونيو ٢٠١٧ - على الأسر في قطر. تم إجراء هذه الدراسة على بعض الأسر القطرية المختلطة التي يكون فيها أحد الزوجين من إحدى دول الحصار الخليجية، وعلى بعض الأسر التي لها أقرباء يعيشون في إحدى هذه الدول. وتعدّ هذه الأزمة بمثابة تجربة صادمة لم تمرّ بها الأسر في تاريخ مجلس التعاون الخليجي من قبل، وكان لها تبعاتها غير المسبوقة ليس فقط على الأسر القطرية، وإنما على الأسر التي تحمل إحدى جنسيات دول الحصار وتعيش في قطر. فقد تأثرت علاقات الأسر مع أهلهم من مواطني دول الحصار بشكل سلبي في كثير من الحالات. وعلاوة على ذلك، تواجه هذه الأسر تحديات مختلفة في ظل الحصار تسببت، في بعض الأحيان، في تشتتها، وهذا ما تحاول هذه الدراسة فهمه وتقديمه.

إنّ البحوث المتعلقة بمثل هذا النوع من الأزمات وتأثيره على الفرد والأسرة والمجتمع في الدول العربية تكاد تكون محدودة، نظرًا لأنّ معظم المشروعات البحثية التي تختصّ بالأزمات في الدول العربية تركّز على اللاجئين والصراعات المسلّحة كما في الحالة السورية واليمنية والليبية. ولكن هذه الدراسة تقدّم طرحًا مستحدثًا يركّز على التجارب الفريدة لأسر دول مجلس التعاون الخليجي التي تعيش في قطر والمتضرّرة من الحصار.

وقد بذلت اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان في قطر جهودًا لاحتواء الأسر المتضرّرة ومساعدتها على التواصل مع الأهل والأقارب وواجهت خلال ذلك العديد من التحديات. فالتجارب المؤلمة الناجمة عن التعرّض لمغادرة البلاد، والانفصال عن أفراد الأسرة، والانقطاع عن التعليم، وفقدان الممتلكات، وفقدان المكانة الاجتماعية، وسحب الجنسيات، كانت جميعها ذات تداعيات سلبية عميقة على الأسر ورفاهيتها وجودة حياتها. وقد تبين أنّ هذه التجارب تؤثر على التفاعلات والعلاقات الأسرية وتجعل الأسر المتضرّرة أكثر عرضةً لتجارب الصدمات الفردية، والجماعية، واضطرابات الصحة النفسية.

اتبعت الدراسة اقتراحًا نوعيًا فقمنا بإجراء مقابلات مع ٢٢ شخصًا بالغًا يمثلون أفرادًا من أسر قطرية مختلطة مع جنسيات خليجية من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين (١١ من الذكور و١١ من الإناث). وكان المشاركون في الدراسة متزوجين وغير متزوجين، لهم أو ليس لهم أطفال. خلال المقابلات، طُلب من المشاركين التفكير مليًا في أثر الحصار على الأسرة وأفرادها، والأطفال، والممتلكات، والتعليم، والصحة. وأجريت المقابلات باللغة العربية وسُجّلت بالصوت وتمّ تدوينها. وأجريت مجموعتنا نقاش بؤرية، تكوّنت الأولى من نساء عازبات تتراوح أعمارهنّ بين ٢٥ و٣٥ سنة، أما المجموعة الثانية فكانت لنساء

متزوَّجات - في زيجات مختلطة - تتراوح أعمارهنّ بين ٣٠ و ٦٠ سنة. وتراوح عدد كل مجموعة بين ٤ و ٨ نساء. وكان من المقرّر، وفقاً لمنهجية البحث، إجراء مجموعة نقاش بؤرية للرجال، ولكن تعدّ جمع المجموعة سوياً، لذلك استعُض عن مجموعة النقاش البؤرية بمقابلات فردية مع كل من المبحوثين الرجال على حدة .

واستخدمت الدراسة المبادئ الأساسية المرتكزة على المنهجية النظرية الإنشائية لتوجيه المقابلات وأجري تحليل مواضيعي لها بالإضافة إلى مخرجات مجموعات النقاش البؤرية.

وقد حدّد التحليل المواضيعي ما يلي:

- التشتت الأسري، وانعدام الأمن، والتجزؤ في العلاقات الأسرية.
- آثار مواقع ووسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز الصراع في العلاقات الأسرية.
- جلب الحصار المعاناة للأسرة، وآليات القدرة على التكيف.
- النزاع داخل العلاقات الزوجية.
- التأثير النفسي للحصار على صحة أفراد الأسرة، والتمثّل في حالات الخوف والقلق والاكنتاب والغضب والضغوط التي تواجهها الأسر.
- التحصيل العلمي والاستمرارية في التعليم وتأثرهما بسبب الحصار بالنسبة للأطفال والشباب.
- الخسائر المالية.
- الثغرات في الخدمات المتاحة للأسر المتضررة بسبب الحصار.
- الجوانب الرئيسية للتدخلات اللازمة للأسر المتضررة لإعادة العلاقات الأسرية والرعاية.

أوضحت الدراسة كيف تأثرت العلاقات الأسرية بالسلب انقطاعاً وتشتتاً بسبب الحصار، ما أدّى إلى عدم الاستقرار وانعدام الأمن بالنسبة للأسرة. وكانت الصراعات التي خاضتها الأسر بسبب الحصار واضحة، ولاسيّما بالنسبة للنساء القطريات المتزوَّجات من أزواج من مملكة البحرين أو دولة الإمارات العربية المتحدة أو المملكة العربية السعودية. فقد عانت هذه النساء أكثر من غيرها في تأمين حياة آمنة والعيش بأمان في قطر مع أطفالهن الذين لا يحملون الجنسية القطرية. وتواجه هذه الفئة، بوجه خاص، مشاكل في التعليم، وتجديد جوازات السفر، والأمن الوظيفي، والاستثمارات المالية.

وكان لوسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي أثر سلبي على العلاقات الأسرية ولعبت دوراً كبيراً في إيجاد صراعات وحساسيات داخل الأسر وتعزيزها منذ بدء الحصار. وقد فسّرت الأسر في قطر وفي دول الحصار الأخبار بشكل سلبي، ما أدّى إلى نشوب النزاعات والخلافات داخل الأسرة وكان له تأثير على الكبير والصغير فيها.

وتبيّن لنا النتائج ظهور أعراض نفسية ناجمة عن الحصار. فقد قام بعض المبحوثين بزيارة الطبيب النفسي للمحافظة على حالتهم الصحية، بينما شعر آخرون بأنهم كانوا، في كلّ الأوقات، مضطربين وخائفين وغير آمنين ومكتئبين. ويمكن أن يكون لهذا أثر على المدى البعيد على صحة الأفراد النفسية وقد انعكس على العلاقات الأسرية.

كما نشأت مشاكل تعليمية للعديد من الأطراف بسبب الحصار. فالطلاب الذين يستكملون تعليمهم في دول الحصار واجهوا مشكلة الانقطاع عن التعليم، فقد طُلب منهم مغادرة دول الحصار والعودة إلى قطر. أما في قطر، فقد يواجه الأطفال غير القطريين مشاكل في المدارس عند التسجيل للالتحاق بالمدرسة، وذلك بسبب حاجتهم إلى جوازات السفر الرسمية لاستكمال إجراءات القبول. ولم يتمكن بعض المبحوثين من تجديد جوازات سفرهم إذا كانوا من مواطني مملكة البحرين أو دولة الإمارات العربية المتحدة أو المملكة العربية السعودية؛ وهذا يشكل تهديدًا على إمكانية استكمال تعليم الأطفال ويشكّل مصدرًا للخوف والتوتر بالنسبة للآباء إذا لما يتمكنوا من تجديد الأوراق الرسمية للسنة الدراسية القادمة.

وقد بدأت ظاهرة التنمر المرتبطة بالحصار تبرز إلى حد ما في المدارس، ومن الممكن أن تؤدي إلى التمييز بين الأطفال والشعور بانعدام الأمان. كما قد تؤثر على أداء الطفل وإنجازه الأكاديمي وإحساسه بالأمان في بيئته التعليمية.

ولم تسلم العلاقات الزوجية بدورها من تأثير الحصار حيث اضطر بعض المبحوثين للانقطاع عن أزواجهم، وتأثرت بالتالي علاقاتهم الزوجية تأثيرًا سلبيًا. وعلى الرغم من أن معظم المبحوثين الذين أجريت معهم مقابلات قد أكدوا على دعم أزواجهم لهم، إلا أن البعض الآخر أوضح أن مواقف وسلوكيات الأزواج قد تغيرت تجاههم إثر الحصار، مما قد يؤدي إلى الطلاق أو الانفصال. كما وبيّنوا أن علاقاتهم الزوجية أصبحت تتسم بالعدوانية، والجدلية، والتضارب، ما من شأنه أن يؤثر على الأبناء وأفراد الأسرة الآخرين، وقد يؤدي إلى التشتت الأسري.

وليس من السهل متابعة المسائل المالية مثل الاستثمارات من حيث الأصول والممتلكات في دول الحصار، ولكن المقابلات رصدت فقدان بعض المشاركين لأموالهم في استثمارات، ودفعات للإيجار، وفقد آخرون سياراتهم وما إلى ذلك. كما وأصبح تحويل الأموال من قطر وإليها أكثر تعقيدًا ويستغرق وقتًا أطول للوصول إلى المستفيدين.

وتوضح هذه النتائج أهمية مراعاة الطابع المتشابك للحصار في ضوء الترابط الأسري، وقد تحتاج الأسر إلى فترة زمنية لكي تتكيف مع الحالة الراهنة وتتأقلم معها. وكشف المشاركون أنهم يشعرون بعدم الأمان في زيارة عائلاتهم في دول الحصار، وحتى إذا ما رُفع الحصار فإن الكثير منهم لن يسافر لأي من دول الحصار إذ إن ذلك سيشعرهم بانعدام الأمن والذل والحرمان. ولكن هذه الأسر أعربت عن أملها في مستقبل أفضل لأطفالها. وفي الوقت نفسه الذي ناقشت فيه الأسر الأوجه المتعددة للمعاناة من الحصار، ذكرت أيضًا الفرص الكامنة في تعزيز الحفاظ على القيم والمعتقدات الثقافية والدينية والولاء لقطر. وفي الواقع، ذكر بعض المشاركون أنه فتح أبوابًا جديدة للاستثمارات والفرص في مختلف مجالات الأعمال التجارية، والزراعية، والصحية، والتعليمية في قطر.

وقام مقدّمو الخدمات في قطر، مثل اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، بمساعدة وفتح أقسام للأسر التي تعاني من الحصار للتعامل مع الشكاوى والخسائر المالية والمشاكل التعليمية وما إلى ذلك. ولكن في ظلّ الوضع الحالي، يحتاج الأمر إلى تدخّلات لتوفير الموارد البشرية المؤهلة والكافية للاستجابة لمتطلبات الأسر على جميع المستويات الحكومية.

وللتدخلات أهمية خاصة في هذا السياق الذي يلبي احتياجات الأسر المتضررة نتيجة الحصار: فثمة حاجة إلى التدخلات النفسية الاجتماعية التي تعالج أثر الصدمات على مستوى الفرد والأسرة؛ أما في مجال التدريب، فيمكن للعامل الاجتماعي أن يؤدي دوراً هاماً في تنفيذ التدخلات على المستويين الصحي والتعليمي للأفراد والأسر.

وفي ضوء هذه النتائج، نوصي بزيادة التدخلات والبرامج التكاملية والتنسيق فيما بينها لتقديم الدعم الرسمي وغير الرسمي للأسر المتضررة من الحصار. وعلاوة على ذلك، فإنّ البحوث المستقبلية التي تتناول تأثير الأزمة على الأسرة، والتخطيط للأزمات والتدخلات المتعلقة بالأزمات ستسهم في فهم أفضل الممارسات. وتعدّ الاستنتاجات المنبثقة عن هذه الدراسة حول أثر الحصار على الأسرة بمثابة إرهاصات بحثية لدعم البحوث المستقبلية التي توسّع نطاق الفهم في مجال العلاقات الأسرية، والضغوط الأسرية أثناء الحصار وبعده، والعلاقات الزوجية، والأثر على الأطفال والوالدية وأدوار النوع الاجتماعي أثناء الأزمة وبعدها.

الفصل الأول: الخلفية وأهداف البحث

١.١ مقدمة

يُعتبر قرار حصار دولة قطر الذي اتخذته الدول الخليجية الثلاث، وهي المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، بالإضافة إلى جمهورية مصر العربية، قرارًا خطيرًا في كامل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولا سيما في هذه الفترة التي تشهد توتر الظروف الإقليمية المحيطة التي تمرّ بها المنطقة. ومازالت هذه الأزمة حتى يومنا الحاضر تعمّق التوتر بين العلاقات الخليجية بسبب أدوات الضغط المختلفة التي تستخدمها دول الحصار للتأثير على دولة قطر، حكومةً وشعبًا.

ولا يخفى على الكثير عمق العلاقات الأسرية الخليجية وتماسكها لكونها تتشارك في الامتدادات القبلية والتاريخ والأصول والثقافة والدين. لذلك امتدّت القبائل والأسر الخليجية على اتساع رقعة الخليج ممهّدة للكثير من العلاقات والروابط المشتركة سياسيًا، واجتماعيًا، ودينيًا، وثقافيًا، واقتصاديًا. ولعلّ الكثير من العائلات إما ترتبط برابط الدم، أو النسب، أو الصداقة والجيرة الممتدّة لسنوات طويلة. وهذا ما أدّى بطبيعة الحال إلى تعزيز روابط أبناء الخليج وتقاربهم وتماسكهم منذ عشرات السنين.

ولكنّ تاريخ الخامس من يونيو ٢٠١٧ أنشأ انعطافًا كبيرًا لشكل العلاقات الخليجية على جميع الأصعدة. فقد تم اختراق وكالة الأنباء القطرية (قنا)، لبثّ تصريحات وهمية نُسبت لصاحب السمو أمير دولة قطر، الشيخ تميم بن حمد آل ثاني - حفظه الله - . وقد تضمّنت بعض هذه التصريحات الكاذبة إشارات إلى علاقات قطر مع إيران، وتنديدًا بمؤامرات من دول خليجية شقيقة ضد قطر، وإلى دور القاعدة الأمريكية وأسباب وجودها بما فيه حماية الدولة من أطماع دول الجوار. ومن هذا المنطلق، قرّرت الدول الخليجية الثلاث مع جمهورية مصر العربية، قطع العلاقات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والتجارية مع دولة قطر، متبوعة بحكومات اليمن، وليبيا، وجزر المالديف، وجزر القمر. وقامت دول أخرى مثل المملكة الأردنية الهاشمية بتقليص التمثيل الدبلوماسي لها في دولة قطر. أعقب ذلك إصدار بيان ثلاثي من مملكة البحرين والمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، تم نشره في جميع وسائل إعلامهم الرسمية، ونصّ على منح ثلاثة أيام للشخصيات الدبلوماسية القطرية لمغادرة بلدانهم، وأربعة عشرة يومًا لجميع الوافدين من قطر. كما فرضت عقوبات عدّة على مواطنيها، مثل السجن لمدة طويلة وغرامات مالية كبيرة، لمن يتعاطف مع قطر أو حكومتها أو شعبها. وأجبرت هذه الحكومات مواطنيها المقيمين على الأراضي القطرية، بموجب قرارٍ تعسّفي، على الرجوع إلى البلاد في أسرع وقت، دون أيّ اعتبار لظروفهم المعيشية في قطر، حيث أنّ الكثير منهم مرتبط بتعليم، أو بعمل، أو بزوجة وأبناء.

وعند النظر إلى بعض التجارب الدولية المشابهة، فقد تكرّرت سيناريوهات حصار الدول عبر التاريخ بدرجات متفاوتة في قسوتها ومدى الضرر الذي ألحقته بالشعوب المُحصّرة، مثل حصار كوبا سنة ١٩٦٠ أو حصار برلين سنة ١٩٤٩ بعد الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٨، حيث

عانت تلك الشعوب نتيجة للعديد من الآثار التي كان لها وقع كبير على جميع الأصعدة ومختلف الجوانب المجتمعية والفردية. فقد قام الجيش الأحمر السوفييتي بحصار أراضي برلين الغربية عسكرياً وشكّل ذلك أول إشارات الحرب الباردة. ومنع الاتحاد السوفييتي المؤن الغذائية والأدوية والوقود من دخول برلين الغربية، فما كان من أمريكا إلا أن قامت بعمل جسر جوي لإمدادهم بالغذاء والاحتياجات الأساسية. وخلال الحرب الباردة أيضاً، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بحصار كوبا منذ عام ١٩٦١، وعلى مدى عقود من الزمن، تم تشديد سياسة الحصار بمختلف أبعاده المالية من خلال فرض عقوبات وغرامات مالية عالية على الشركات الأجنبية والبنوك التي لديها علاقات تجارية مع كوبا (Taylor, 2009)، كانت السبب في عرقلة تنمية البلاد الاقتصادية وتحقيق الرفاهية للشعب الكوبي، وانتهاك قوانين حقوق الإنسان لشعب كوبا المحاصر منذ ٥٦ عاماً. ولا زالت العقوبات والإجراءات التعسفية ضد كوبا مستمرة حتى الآن بأشكال متعدّدة امتدّت إلى تقييد حرية تنقّل الشعب الكوبي بين الولايات المتحدة الأمريكية وكوبا. ولا يزال الشعب الكوبي يكافح من أجل حريته، وسلامته، وحقّه في التنقل والتعليم والعلاج لضمان تمتّعه بالسلام والحياة الكريمة.

وتشير الدراسات المتعلقة بنفس مجال الحصار كدراسة بيكسن (Peksen, 2011) إلى أنّه، وبالرغم من وفرة الأدلة والنقاشات المتعلقة بالبلدان بشأن الآثار الإنسانية للحصار، لم يكن هناك أيّ بحث تجريبي وطني يفحص التكلفة البشرية لهذه الإجراءات، وقدم في دراسته تحليلاً كمياً لتأثير الحصار الاقتصادي على أوضاع الصحة العامة في البلدان المستهدفة. واستخدم معدّل وفيات الأطفال في الفئة العمرية دون خمس سنوات كمؤشّر للحالة الصحية كما استخدم البيانات التي تمّ تحصيلها عبر الأجيال في الفترات الزمنية بين ١٩٧٠ و ٢٠٠٠. ووفقاً للنتائج، فإنّ تأثير العقوبات على الصحة العامة مشروط إلى حد كبير بمدى التعرّض المستمر للاقتصاد واستهدافه. ويبيّن في نتائج دراسته أنّه من غير المحتمل أن تؤدّي الثروة الاقتصادية للبلدان المستهدفة دوراً تفاعلياً هاماً في التخفيف من تأثير الحصار الاقتصادي على الصحة العامة. وبالمثل، فإنّ فرض العقوبات ليس له تأثير واضح على وفيات الأطفال.

وتشير دراسة ماركس (Marks, 1999) بأنّ تأثير العقوبات الاقتصادية على المدنيين والصحة العامة يشكّل انتهاكات لحقوق الإنسان. وغالباً ما يكون تعريض السكان للحرمان أو الضغوط والمشكلات الناجمة عن العقوبات الاقتصادية أو الحصار انتهاكاً لحقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ وهي تستهدف الناس أكثر من الأنظمة.

وتؤيد دراسة شاجابوتدينوفا وبيرجكان (Shagabutdinova, E., & Berejikian, 2007) ما ذكرته النساء وأفراد العيّنة في المجموعات البورية والمقابلات ما ذكره المدافعون عن حقوق الإنسان إلى أنّ أكثر الأشخاص تضرراً من العقوبات التجارية التقليدية هم السكان. وبالتالي فإنّها سياسة غير فعّالة، وترتفع، في أسوأ حالاتها، إلى مستوى انتهاكات حقوق الإنسان، وهي بالتالي تترك الحكومات بمقايضة حقيقية على أرواح الناس واقتصاداتهم.

وعلى الرغم من اختلاف التجارب المذكورة عن حالة حصار دولة قطر، إلا أنّ هناك العديد من أوجه التشابه: فبعد إعلان الحصار سعت دول الحصار إلى التأثير على دولة قطر على جميع

الأصعدة واستماتت في ضرب دولة قطر سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا. فتبنت حملة تشويه لسمعة قطر عالميًا وشنَّ هجوم إعلامي وإلكتروني ضد قطر حكومة وشعبًا من خلال إعلام دول الحصار ووسائل التواصل الاجتماعي لنشر الإشاعات المغرضة والأكاذيب، ومن خلال إغلاق المنفذ البري الوحيد الذي يربطها بدول الخليج، وتضييق مجالها الجوي. وبالرغم من التأثير الكبير لهذا الهجوم على الشعب القطري، فقد فاجأ دول الحصار والعالم بصموده أمام هذه اللعبة السياسية الخليجية التي كانت تسعى لجعل الشعب أداة ضغط على الحكومة القطرية لتلبية مطالب دول الحصار. فما كان من الشعب القطري إلا أن اصطفَّ مع حكومته داعمًا لموقفها ومساندًا لها ومعززًا لتماسكه ووحدته الوطنية.

يمثل الحصار على دولة قطر حالة فريدة لم تشهدتها دولة خليجية من قبل، ولكنها قد تقترب بشكل ما، في أثرها الاجتماعي والنفسي وتأثيرها على الترابط الأسري، من حرب الكويت عام ١٩٩٠ (الظفيري، ١٩٩٢). فالتداعيات السلبية التي خلفتها حرب الكويت على الأسر الكويتية أثناء العدوان العراقي - جراء أسر أفراد من الأسرة والاستشهاد والنزوح - ساهمت في حدوث الكثير من الصدمات النفسية. ودائمًا ما يكون للحروب والنزاعات العديد من التأثيرات القوية على الأفراد في المجتمعات المتضررة، وتكون بنسب متفاوتة على الأطفال والبالغين.

يُعرف الحصار لغويًا بأنه الموضوع الذي يُحصَر فيه الإنسان ويضيق عليه من نواحٍ عديدة. أما الحصار الاقتصادي فيُراد به التضييق اقتصاديًا على بلد ما بمختلف الوسائل. وقد لامس التضييق الذي مارسه دول الحصار جوانب عديدة مهمّة في حياة المواطنين والمقيمين في قطر. فقد قطعت دول الحصار جميع منتجاتها الغذائية، والدوائية، والصناعية، عن السوق القطري الذي كان يعتمد عليها بشكل كبير، كما مُنح جميع المستثمرين القطريين من الوصول والتصرّف باستثماراتهم وإدارتها، متعمدين بذلك إلحاق الخسائر الاقتصادية بهم.

يلقي هذا البحث الضوء على تأثير الحصار على «الأسر القطرية المختلطة مع دول الحصار الخليجية» وأبعاده الاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية، والصحية والتعليمية، وأثره على رفاه الطفل. ويتضمّن مقابلات مع بعض الأسر المتضررة والتي حصرتها لجنة حقوق الإنسان في دولة قطر في تقريرها الأول الصادر في ١٣ يونيو ٢٠١٧ الذي رصد العديد من الشكاوي المختلفة التي تمسّ مختلف الجوانب الأساسية في حياة المواطنين القطريين المقيمين في المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين، والبالغ عددهم ١٩٢٧ قطريًا. وبلغ عدد المواطنين المتضررين من دول الحصار المقيمين في دولة قطر ١١،٣٨٧ مواطنًا. وطالبت اللجنة في هذا التقرير المؤسسات الحقوقية الدولية بتوثيق الحالات المتضررة والعمل على رفع الحصار (مركز الجزيرة، ٢٠١٧).

٢.١ أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة للتعرف على أثر الحصار على الأسر المختلطة في قطر، والتي يكون أحد أفرادها من أحد الدول الخليجية التالية: المملكة العربية السعودية، أو دولة الإمارات العربية المتحدة، أو مملكة البحرين. وتتضمن الأهداف المحددة لهذه الدراسة ما يلي:

١. استكشاف آثار الحصار على الأسر المتضررة وتماسكها.
٢. استكشاف الأبعاد المالية والنفسية المرتبطة بالأسر المتضررة من الحصار.
٣. استكشاف آثار الحصار على رفاه الطفل وتعليمه.
٤. ونتطرق فيما يلي للجانب الاجتماعي، والنفسي، والاقتصادي، والتعليمي.

٣.١ الجانب الاجتماعي

يُعرّف أولسون (Olson, 1993) التماسك الأسري على أنه الرابط العاطفي الذي يملكه أفراد الأسرة الواحدة تجاه بعضهم البعض. ويرى هامبسون وبيفيرز (Hampson and Beavers, 1993) أنه من المتوقع أن يكون أفراد الأسرة الواحدة متعاطفين تجاه مشاعر بعضهم وما يرغبون في التعبير عنه وتوقعاتهم (ص: ٨٣). ويشرح هامبسون وبيفيرز (Hampson and Beavers, 1993) أن التماسك يقاس بدرجة التزام أفراد الأسرة في تقديم المساعدة والدعم لبعضهم البعض. ولا بد أن تكون الأسرة، بوصفها نواة للمجتمع، امتداداً لسماته الخاصة وإمكانياته المتوفرة، كما تعكس فكره الخاص الذي يشترك فيه أفرادها وطموح خاص بين المنتمين إليه (عبدالخالق والمشعان، ١٩٩٤). وتمثل الأسرة أهم ركائز المجتمع، ويعدّ تماسكها مهماً لخلق بيئة صحية لنمو الأفراد. ومع استكشاف النفط في المنطقة، انتعشت دول الخليج اجتماعياً واقتصادياً، ما جعلها محط أنظار الكثيرين. وبسبب التقارب الثقافي والاجتماعي بين دول الخليج، نجد امتداداً في الأنساب بين سكان قطر وأشقائهم من دول الخليج. وكنتيجة للزيجات المختلطة، لم يصبح التنقل من أي دولة خليجية لدولة قطر شاقاً، بل أصبح العيش فيها والعمل فيها جذاباً لقربها من دول الخليج وسهولة التنقل منها وإليها، فضلاً عن توفر فرص عمل للخليجيين وخدمات عالية الجودة، ما أسهم في استقرار العديد من العائلات في دولة قطر، فأصبحت لهم وطناً آخر يُشعرهم بالأمن والأمان.

لكن ذلك التضامن الأسري القطري والخليجي تعرّض لصدمة اجتماعية ناتجة عن الحصار الذي ترتّب عليه قطع العلاقات وتفريق أفراد الأسرة الواحدة قسراً. فالبيان الذي أصدرته دول الحصار الثلاث ونصّ على عودة مواطنيها لدولهم وطرد المواطنين القطريين من أراضيهم كان يهدف عمداً لضرب النسيج الاجتماعي والتأثير على الأسر ذات الأفراد القطريين، ما أدى إلى تفكك هذه الأسر وتشتتها وغياب أحد الوالدين بسبب انتمائه لأحد دول الحصار، بل وأسهم في حدوث حالات طلاق في بعض الأسر المختلطة. وأدى أيضاً إلى انتشار القطيعة بين الأقارب من دول الخليج وأهاليهم في دولة قطر، إمّا لخوفهم من العقوبات التي فرضتها دولهم في حال تعاطفهم مع دولة قطر أو لإيمانهم بادعاءات دولهم ضد دولة قطر. ولم تولي دول الحصار أي

اعتبار للثوابت والروابط الدينية والأعراف الاجتماعية التي تجمع أبناء الخليج وتحثُّ على صلة الرحم وتنبذ القطيعة.

وقد أكد التقرير الأول للجنة القطرية لحقوق الانسان بعد الحصار حجم الضرر الواقع على هذه الأسر والانتهاكات الحقوقية الممارسة ضدها، وذلك بعد رصدها للعديد من الشكاوى وتوثيق تلك الانتهاكات التي تؤكد تضررهم بشكل متفاوت بعد قطع العلاقات مع قطر وبدء الحصار (شبكة الجزيرة الإعلامية، ٢٠١٧). وأسهم انتشار الشائعات بين الناس بسبب الخوف والقلق (مختار، الخواجه، حاجيه، أشكناني، ١٩٩٢) الذي تعيشه الشعوب الخليجية والمقيمين في هذه الدول، في زيادة التفكك الأسري، فانشغلت هذه الأسر في محاولات للم الشمل مرة أخرى من خلال برامج التواصل الاجتماعي لتصطدم بواقع أليم ينتشر بقوة من خلال تلك البرامج. فقد أوجدت الشائعات والقذف والشتم والاتهامات غير الصحيحة بشأن قطر وحكومتها وشعبها، مروّجها من ذويهم في تلك الدول، الأمر الذي ساعد أيضًا في زيادة الصدع الأسري منذ بداية الأزمة الخليجية، وجعل مشاعر الخوف والقلق والتحفّظ تسود العلاقات.

٤.١ الجانب النفسي

تتسبب الحروب والنزاعات السياسية في العديد من المشكلات النفسية للكثير من الأفراد والأسر والمجتمعات. فالحروب والنزاعات السياسية هي من أصعب المخاطر التي يواجهها الإنسان فهي تهدد حياته وسلامته وأمنه وأمانه (الرشيدي، ١٩٩٤). فالدمار الذي تخلّفه الحروب والنزاعات لا يقتصر على البنية التحتية وتدهور الاقتصاد، إنما يتعداه ليحدث صدعًا نفسيًا قويًا يؤثر على الأفراد على المدى القريب والبعيد، وقد يصعب ترميمه وعلاجه، وقد تناولت العديد من الدراسات تأثير الحروب والنزاعات على الجانب النفسي للفرد والأسرة. وصرّحت منظمة الصحة العالمية (WHO) أنّ ٨٠% من صحة الفرد النفسية والعقلية والسلوكية في المجتمعات تتأثر بشكل سلبي بمثل هذه النزاعات (Murthy and Lakshminarayana, 2006)، ويكون تأثيرها أقوى خاصّة على الأطفال والمراهقين والنساء. وقد أشار شور (Shore, 1986) أنّ هناك نسبة لا تقل عن ٢٥% قد تتعرّض لاضطراب ما بعد الصدمة، إلا أنّ عددًا من الدراسات نوّهت بأنّ هذه النسبة قد تقلّ مع مرور الوقت، اعتمادًا على طبيعة وقسوة هذه المحنة (الصراف، ١٩٩٢). وتتمثّل أهم هذه الآثار في الصدمات التي يتعرّض لها الفرد نتيجة التشريد، والتهجير والنزوح الذي يؤدي إلى التشتت الأسري وما يصاحب ذلك من اضطرابات نفسية تنمو لدى الفرد والأسرة.

فالتغيير المفاجئ في شكل الأسرة وظروفها لا بد أن يكون له كبير الأثر على أفراد الأسرة. وتشرح نظرية الضغوط (Stress theory) أنّ هذا الضغط يولد نتيجة التغييرات العديدة التي قد تحصل في ديناميكية الأسرة، وتنظيمها، والمهام المنوطة بالأفراد فيها، ما يؤدي إلى تعديل وتكييف سلوك الأطفال وبالغين ضمن هذه المنظومة الأسرية (Carlson&Corcoran, 2001). ويكون لبعض الظروف والأحداث التي تمرّ بها الأسرة تأثير مباشر على زيادة مستوى التوتر والقلق عند الأطفال مثل الخلافات بين الوالدين، وتغييرات في تكوين الأسرة نتيجة انفصال الوالدين، أو تغيير محل الإقامة. وكرّد فعل على هذه الصعوبات التي تواجه الأطفال في المنزل، فإنهم قد

ينسحبون من البيئة المنزلية ويتلقون رعاية أقل من الوالدين ويقفّ تفاعلهم الاجتماعي مع البيئة المحيطة، ويصبحون بالتالي أكثر عرضة لتأثيرات الأقران السلبية (Carlson&Corcoran, 2001).

كان للأسر القطرية والأسر القطرية المختلطة والمقيمين على أرض قطر من الأسر الخليجية والعربية نصيب من هذه الآثار النفسية التي تسبب فيها الحصار. ونعزو هذه الآثار النفسية لعوامل عديدة، منها الخوف والقلق من قيام حرب والتدخل العسكري، وقطع صلة الأرحام المتمثلة في عدم القدرة على لقاء الأهل والأقارب، أو ردود الفعل السلبية من الأهل من سكان دول الحصار، بالإضافة إلى الهجوم الإعلامي المستمر على دولة قطر من خلال الإعلام المباشر لدول الحصار الثلاث ومن خلال برامج التواصل الاجتماعي المتاحة لجميع أفراد المجتمع بمختلف أعمارهم والتي تعتبر حلقة الوصل والتواصل بين هذه الأسر. ونذكر هنا أن في الحرب العالمية الأولى والثانية، استُخدمت تكنولوجيا الأسلحة النووية لتدمير الدول، ولكن ما يحدث في هذه الأزمة الخليجية هو استخدام التكنولوجيا الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي للتأثير على الرأي العام المحلي والدولي لزعزعة المجتمع القطري والتأثير على أفرادها نفسيًا.

وقد أُكّدت دراسات علم النفس أنّ الخبرات المؤلمة لا يمكن نسيانها بسهولة، خاصة تلك التي نتجت عن الحروب والنزاعات المستمرة والصراعات المسلّحة (الصراف، ١٩٩٢). فمعاناة الأسر القطرية المختلطة بسبب الحصار أنتجت الكثير من المشاكل النفسية التي ولّدت الكثير من مشاعر الخوف والإحباط والقلق. فبعد أن كانوا يعيشون في أمن وأمان في دولة قطر كأسر متماسكة، قادتهم الأزمة إلى الانفصال والإبعاد القسري، ما كان له كبير الأثر على صحة الأفراد النفسية والعقلية في هذه الأسر (Murthy and Lakshminarayana, 2006). وقد فسّر سلايك (Slaikeu, 1990) مثل هذا النوع من الأزمات بأنّها «إشارة إلى حالة مؤقتة من الاضطرابات ومن اختلال التنظيم التي تجعل من الفرد عاجزًا عن مواجهة موقف معين باستخدام الطرق المألوفة لحلّ المشكلات بشكل جذري». وتنقسم هذه الاضطرابات إلى مستويات مختلفة تؤثر على توفّعات الفرد في الحياة (الصراف، ١٩٩٢، ص ١٨). فهذه الأزمة الخليجية ولّدت مشكلات انفعالية ظهرت على شكل عدم الشعور بالأمان بعد تشتت هذه الأسر وتفكّكها وعدم القدرة على التواصل مع كافة أفرادها بسبب العقوبات والغرامات. وتفاقمت تلك المشكلات بين الأفراد بسبب انتشار الشائعات المتحاملة، فساهمت في توليد الشعور بالغضب الشديد وسهولة الاستثارة ناهيك عن الشعور بالحزن العميق.

٥.١ الجانب الاقتصادي

حمل حصار قطر العديد من الأبعاد الاقتصادية للتضييق على دولة قطر. فقد قطعت دول الحصار صادراتها الغذائية، والدوائية، والصناعية، وغيرها من الصادرات عن دولة قطر. ولكن بفضل القيادة الحكيمة، تمكّنت الدولة من تأمين جميع احتياجات الشعب القطري المختلفة من خلال تعزيز السوق المحلي وتشجيع المزيد من الأفراد والشركات على توسيع تجارتهم أو البدء في مشاريع جديدة تساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي للدولة. كما تمّ الانفتاح على أسواق عالمية جديدة لتعويض منتجات دول الحصار وتوثيق العلاقات الثنائية بين قطر ومختلف الدول.

ولم يقتصر الضرر الاقتصادي على الداخل في دولة قطر، ولكنه امتدّ ليشمل تجارة واستثمارات القطريين مع دول الحصار وفيها. وبسبب غلق جميع المنافذ ومنع القطريين من دخول هذه الدول وتوجيهات دول الحصار بوقف التعامل مع القطريين ومنعهم من تسهيل أموالهم أو التصرف في استثماراتهم، فقد تكبّد المئات من التجّار وأصحاب الأملاك الكثير من الخسائر المالية الكبيرة (شبكة الجزيرة الإعلامية، ٢٠١٧). ويعتبر كل ذلك انتهاكاً صارخاً لمواثيق حقوق الإنسان العالمية والعربية التي تؤكد على احترام حقوق الانسان الاقتصادية، والسياسية، والإنسانية.

ويتأكد لنا أنّ الهدف من الحصار لم يكن التضييق على الحكومة القطرية فحسب بل على الشعب أيضاً (شبكة الجزيرة الإعلامية، ٢٠١٧). فلم تكتفِ تلك الدول بفرض غرامات وعقوبات على المتعاطفين مع شعب قطر، بل قامت أيضاً بمنع التداول بالريال القطري ومنع أيّ تحويلات مصرفية من دولة قطر إلى دول الحصار. وهنا بات من الصعب على الكثير من الأسر إعالة أفراد أسرهم في تلك الدول وإرسال المال لهم بشكل دوريّ، ما يعني، في الكثير من الحالات، غياب العائل الوحيد لهم ومصدر الدخل؛ ولنا أن نتخيّل أبعاد مثل هذا القرار على المنتفعين من هذه التحويلات المالية من ذويهم سواءً للتعليم أو لتلقّي العلاج، فذلك يعني تأخرهم أو عدم تمكّنهم من دفع مثل هذه رسوم العاجلة والهامة.

ومما لا شكّ فيه أنّ قرارات دول الحصار التعسّفية لم تكن ذات أثر على القطريين فحسب بل مسّت مواطني دول الحصار أيضاً بشكل كبير، نظراً لعدد المقيمين الخليجيين في قطر. فقد دُفع الكثير للتخلّي عن وظائفهم ومصدر دخلهم في دولة قطر والعودة لدولهم في وقت قصير جداً، دون أيّ اعتبار لاحتياجات أسرهم. أما الذين استمروا في العمل - من البحرينيين - بعد استصدار تصريح الموافقة للسفر لدولة قطر فلم يسلموا من تبعات هذا القرار السياسي فقد زادت عليهم الأعباء الاقتصادية خاصة مع مقاطعة قطر جواً ومنع الطيران المدني القطري من دخول النطاق الجوي لدول الحصار. وهنا أصبح السفر للوطن ولقاء الأهل والأقارب أكثر مشقّة وطولاً وتكلفة، فيضطرّ المواطن إلى السفر أولاً للكويت أو عُمان حتى يستقلّ طائرة أخرى يُسمح لها بالدخول لدولته. ولذلك فحتى هذه الأسر تواجه تحديات اقتصادية لإعالة ذويها وإيجاد سبل جديدة لتوفير حياة كريمة لهم.

٦.١ الجانب التعليمي

تشير الكثير من الدراسات التي قام بها العديد من الباحثين الكويتيين حول مشاكل الشباب الجامعي في الكويت في مرحلة ما بعد العدوان العراقي (الغانم، ١٩٩٤) إلى أنّ نجاح الطلاب في أيّ مرحلة تعليمية يعتمد على درجة استيعابهم لما يُدرّس لهم، ولكن مواجهة الطالب لبعض المشكلات والضغوط قد تؤثر على تحصيله الأكاديمي أو تتسبّب في رسوبه، وهذا من شأنه أن يؤثر على بعض السلوكيات ويؤدّد الانفعالات مع الوقت.

قبل أن تعلن دول الحصار الثلاث عن قطع علاقاتها مع دولة قطر وبدء الحصار، كان عدد الطلاب السعوديين في دولة قطر، في جميع المراحل، يشكّل نسبة تصل إلى ٥٩%، وعدد

الطلاب البحرينيين يمثل نسبة ٣٣% من الطلاب الأجانب (شبكة الجزيرة الإعلامية، ٢٠١٧) إلا أن مطالبات دول الحصار لمواطنيها بالعودة إلى أراضيهم أجبرت الكثير من الطلاب على الافتراق عن أحد والديهم وعدم تمكّنهم من إتمام عامهم الدراسي، وبالتالي تأخرهم في تحصيلهم العلمي. كما أن دولهم لم تسمح لهم بالعودة لقطر من أجل استكمال تعليمهم في بداية العام الأكاديمي ٢٠١٧-٢٠١٨.

وشمل أثر قرار الحصار التعسفي كذلك الطلاب القطريين المبتعثين لجامعات في تلك الدول. فقد انتهكت جميع حقوقهم التعليمية، بحرمانهم من تقديم اختباراتهم أو منحهم شهادات إكمال المواد والمقررات الدراسية وإفادات التخرج، ما يعني ضياع جهودهم لاستكمال تعليمهم أثناء فترة الابتعاث واضطرارهم للبدء من جديد في جامعات أخرى. ولا بد أن يولد الحرمان من التعليم بشكل قسري الكثير من مشاعر الغضب والخذلان عند الطلبة، لا بل قد يصاب البعض بالإحباط ويختار عدم العودة للتعليم بسبب انعدام الثقة في المستقبل أو فقدان الحافز للاستمرار.

فأبسط حقوق الفرد على المجتمع هو توفير حياة كريمة وبيئة آمنة والحصول على تعليم يساعده في بناء حياته إلا أن بعض الشعوب الخليجية قد وقعت تحت تأثير قرارات سياسية ولدت أزمة حقيقية للشعوب وأنتجت العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والآثار النفسية التي قد تصعب أو تطول معالجتها. لكن الأمل قائم في أنه، مع توفير الخدمات الكافية والإرشاد النفسي للمتضررين وتغطية احتياجاتهم المختلفة، سيتمكن الجميع من تخطي هذه الأزمة والخروج منها بشكل أقوى وأكثر إصرارًا على النجاح وعيش حياة أفضل.

الفصل الثاني: تصميم البحث وأدواته

تلقى هذا المشروع البحثي موافقة على أخلاقيات البحوث من جامعة قطر. واستخدمت طريقة «كرة الثلج» في اختيار المبحوثين والتي بموجبها يقوم فيها المبحوثون بإحضار مبحوثين آخرين لزيادة عدد العينة بشكل مطرد. وشملت العينة مبحوثين من أسر قطرية مختلطة مع دول الحصار الخليجية.

لقد استخدمنا المبادئ الأساسية للمنهجية النظرية الإنشائية (Charmaz, 2006) لتوجيه المقابلات. وللتحليل المواضيعي (Braun & Clarke, 2006) لبيانات المقابلات، فقد استُرشِد أيضاً بمبادئ منهجية النظرية الإنشائية (Charmaz, 2006). استخدمنا تحليل البيانات النوعية اليدوية للمساعدة في تحديد وتجميع الرموز والمواضيع الرئيسية في المقابلات المدونة. وبالمثل، تم تحديد المواضيع الرئيسية في مجموعات النقاش البؤرية ووظفت في هذا التقرير لتعميق التحليل المواضيعي لبيانات المقابلات الفردية.

١.٢ العينة

تم تجميع فريق البحث من معهد الدوحة الدولي للأسرة وجامعة قطر لإجراء مجموعات النقاش البؤرية لأفراد الأسر المتضررة من الحصار في قطر في أغسطس ٢٠١٧. وتشكلت مجموعتا نقاش بؤريتان مع نساء بالتعاون مع اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان التي ساعدت في تنظيم هذه المجموعات النقاشية. تألفت المجموعة الأولى من نساء متزوجات إما من قطر، أو دولة الإمارات العربية المتحدة، أو مملكة البحرين أو المملكة العربية السعودية. أما المجموعة الثانية فتكوّنت من نساء غير متزوجات، إما من جنسيات قطرية أو إماراتية أو بحرينية أو سعودية، يعشن في قطر ولديهنّ أفراد أسرة في إحدى دول الحصار. تكوّنت المجموعات من ٥ إلى ٨ أشخاص. وطلب من مجموعات النقاش البؤرية الردّ على مجموعة من الأسئلة الرامية إلى الحصول على مجموعة متنوّعة من الإجابات. وعلى الرغم من أنّ تقارب الإجابات كان متوقعاً، إلا أنّ بيانات غنيّة ظهرت أثناء مشاركة المبحوثين لتجاربههم وآرائهم الهامة فيما يتعلق بأثر الحصار على الأسرة.

تعلّقت الأسئلة الرئيسية بالكيفيّة التي أثار بها الحصار على الأسرة كمنظومة وعلى أفراد الأسرة بوجه خاص، وأثر الحصار على تعليم الأطفال، وعلى الحالة الصحية والمالية، والخطط المستقبلية لزيارة دول الحصار.

تم تحليل البيانات داخل المجموعات للمواضيع المشتركة من قبل الباحثين. فبالإضافة إلى مجموعات النقاش البؤرية، أجريت اثنتان وعشرون مقابلة معمّقة مع ١١ من الذكور و١١ من الإناث تتراوح أعمارهم بين ٢٢ و٥٥ سنة. واستندت المقابلات على عينة «الكرة الثلجية» وبدأت المقابلات في سبتمبر ٢٠١٧ واستمرّت حتى يناير ٢٠١٨ وذلك لصعوبة إيجاد مبحوثين لإجراء المقابلات معهم.

٢.٢ التحليل

أجريت المقابلات باللغة العربية. تم تدوين المقابلات ومخرجات مجموعات النقاش البؤرية. وبدأ تحليل البيانات بالترميز الخطّي للمقابلات. بالإضافة إلى هذا الترميز، تم تحليل البيانات الديموغرافية لكلّ من المقابلات على أساس محتويات المقابلة. تلا ذلك اجتماع لفريق البحث لمناقشة المواضيع البارزة والناشئة عن استعراض هذه المدونات. واستناداً إلى هذه المناقشة، وضع الفريق مجموعات من المدونات التي تعكس المواضيع الرئيسية المتعلقة بفهم أثر الحصار على الأسرة.

الفصل الثالث: النتائج والتحليل

١.٣ التحديات الاجتماعية

تعتمد هذه الدراسة على البيانات الكيفية التي تمّ الحصول عليها من خلال عقد مجموعتين بؤريتين، أحدها للأمهات وقد بلغ عددهن ٧، والأخرى للفتيات وقد بلغ عددهن ٤. ويضاف إلى ذلك مقابلات متعمّقة تم عقدها مع ٢٠ أسرة متضررة، فتمّت مقابلة ١٠ أزواج و١٠ زوجات.

ونتناول هنا الآثار الاجتماعية لحصار دولة قطر على الأسر المختلطة من خلال العناصر التالية:

١.١.٣ تشتت الأسر

تأثرت العديد من الأسر الخليجية بالإجراءات التعسّفية التي اتخذتها دول الحصار من تصعيب السفر وغيرها. فقد أشار أبو عبدالله، أحد الأزواج البحرينيّين والمقيم في قطر، إلى مباحدة لقاته مع أسرته (ابنه وزوجته) في البحرين بسبب طول الرحلة وتكلفتها، قائلاً: «كنت أذهب إلى البحرين كلّ خميس، وأرجع السبت ليلاً وأحياناً الأحد صباحاً، الآن لا أستطيع ذلك، فقد زادت كلفة الرحلة ثلاثة أضعاف، بالإضافة إلى أنّ وقت الرحلة أصبح 5 ساعات ذهاباً ومثلها إياباً».

وأشارت زوجة قطرية متزوجة من إماراتي إلى أنّ الإجراءات المتبعة من قبل دول الحصار أدت إلى حدوث تشتت لأفراد عائلتها، وأجبرت الأسرة على الافتراق لأكثر من خمسة أشهر. وكان لغياب الأب أثر سلبي على الأبناء الذين انتابهم مشاعر القلق نتيجة للغياب الذي امتد لفترة طويلة. وعبرت عن ذلك قائلة: «تأثروا كثيراً بسبب غياب أبيهم فترة ٥ شهور، وابنتي الصغيرة أصبحت قلقة جداً بسبب غياب أبيها».

وأشارت فاطمة، وهي زوجة لقطري من أصول سعودية، إلى أنّها لم تعد تستطيع أن ترى والديها وتزورهما بعد أن كانت تقوم بزيارتهما في كل إجازة، كما كان والدها يزورانها باستمرار. وذكرت أنّ والدها في حالة ذهول وبأنه غير مصدق لما يحدث وأشارت على لسانه بأنه يقول: «أحسّ انه كذب».

ويذكر أبو المهرة، وهو قطري متزوج من بحرينية، أنّه كان يصطحب زوجته لزيارة أهلها مرّة أو مرتين كل شهر. ولكنها لم تذهب إلى زيارة أهلها منذ أربعة أشهر، نتيجة لخوفه ألا يتمكن من استعادته أبنائه بعد سفرهم. ارتبط هذا الخوف بتجربته السابقة في إعادة أهله إلى الدوحة بعد إعلان الحصار، فعندما ذهب لإحضارهم إلى قطر رفضوا أن تسافر زوجته. وبعد معاناة، وإحضار أوراق ثبوتية لزوجها، استطاع اصطحاب زوجته وأبنائه والعودة بهم لقطر. وقد ذكر ذلك بقوله: «قبل الحصار، كنت أودي زوجتي والعيال وأرجع كل شهر ومرّتين في الشهر، الآن لنا أربع شهور ما رحنا، هم راحوا أنا رجعتهم لأنّ دائماً يسألون من الزوج وأنا أكون خائف يمسون العيال».

وتتشارك أسرة مختلطة أخرى في معاناة الزوج القطري التي سبقت، إذ تواجه أم جاسم، وهي سيّدة قطرية متزوجة من بحريني، صعوبة في زيارة أهل الزوج. يأتي ذلك نتيجة المخاوف

لما يمكن أن يترتب على هذه الزيارة، وأبرزها عدم تمكّن زوجها وأبنائها من العودة إلى قطر وخوفها من عدم العيش معهم، فقالت: «كنا نتزاور في الشهر من مرتين إلى أربع مرات، أما الآن فلا نستطيع وهذا أثر عليّ وعلى الأسرة جميعاً لأنّ الإحساس أنّه ما نقدر نشوفهم مشكلة كبيرة بالنسبة لنا. نخاف نروح، لو رحنا راح يمسكونا وما نقدر نرجع؛ ولو راح زوجي وأولادي يمكن ما يرجعون قطر، وهذه مصيبة لأن ما أقدر أعيش بدونهم».

تتضح من السرد السابق لأوضاع الأسر بعض التبعات المترتبة على الحصار، فقد أدى إلى تشتت الأسر وعدم إمكانية التلاقي مع أفرادها بسهولة. كان ذلك نتيجة الإجراءات التي اتبعتها دول الحصار فيما يتعلق بالتنقل وتواجد القطريين على أراضيها. فقد أسهمت طول فترات السفر، والإجراءات المتبعة في مطارات دول الحصار والتعقيّدات المتعمّدة، وارتفاع التكلفة المادية لهذه الرحلات، في تشتت هذه الأسر والتأثير عليها من نواحٍ عدّة.

٢.١.٣ الصراع بين أفراد الأسرة

نشأت العديد من المشاكل والصراعات بين أفراد الأسر القطرية أو المختلطة وأقاربهم في دول الحصار. وقد كان لإعلام الحصار دور في تأجيج مشاعر الضغينة والحساسيات، فلم يقتصر الخلاف مع دول الحصار على المستوى السياسي، وإنّما سعت دول الحصار - وشكّل ذلك سابقة في الخلافات السياسية بين دول الخليج - إلى إقحام الشعوب في الخلاف، وضرب النسيج الاجتماعي بين الأسر الخليجية عمداً وإصابته بالتصدّع. وتوضح نتائج الدراسة كيف كان جيل الشباب هو المتأثر الأكبر. وأشارت طالبة قطرية، ٢١ سنة، لها أقارب في المملكة العربية السعودية إلى أنّ الحصار أثر على العلاقات على مستوى أفراد جيلها، فقد ساءت علاقتها مع بنات خالتها وصديقاتها بسبب إساءة تهن لدولة قطر، مما اضطرها للخروج من المجموعات على برامج التواصل الاجتماعي.

ومن جهتها، قالت فاطمة، وهي سعودية الأصل متزوّجة من قطري ولها أربع أطفال، بأنّ هذا الوضع واضطراب العلاقات مع الأقرباء في دول الحصار، اضطرها إلى الابتعاد عن برامج التواصل الاجتماعي وأوضحت ذلك بقولها: «تأثرت العلاقات تأثيراً كبيراً لأنّ إعلامهم يقدّم لهم أشياء سيئة عن قطر، تخيلي إنتي في قروب يضمّ ١٧ أو ٢٠ ويمكن ٣٠ بنت، منهم بنات عم وعمّة وبنات خال وخالة تلاقينهم ضد قطر، اضطريت أحذف كل القروبات».

تؤثر الحساسيات والمشاحنات بين أفراد الأسرة سلبيّاً على تماسك وتلاحم الأسرة، خصوصاً إذا كان الأطراف مندفعين. ولذلك اضطر الكبار في بعض الأسر إلى التدخّل لضبط الأمور والحرص على عدم تطورها بين أفراد الأسرة الواحدة. هذا ما أشار إليه أبو أحمد، وهو أحد الأزواج البحرينيين، بقوله: «الحصار أثر على التماسك الأسري: في الأول صار مشاحنات مع أولاد عمي وأهلي عن طريق الواتس أب (WhatsApp) والتويتير (Twitter)، بعدها كبار العيلة تدخلوا وقالوا لا نريد أيّ مشاحنات ولازم يكون في قوانين في القروبات وأنّ الناس تحافظ على بعض. في الأول، صار مشاحنة مع عديلي لغاية ما الكبار تدخلوا وهذوا الموضوع».

وأشارت إحدى المبحوثات في المجموعة البوذية إلى أنّ موقف دول الحصار سيؤدّي إلى تفكّك الأسرة الخليجية قائلة: «دول الحصار جعلوا العائلات الخليجية تتفكّك رغمًا عنهم».

وتؤكّد على ذلك إحدى القطريات المتزوّجة من إماراتي، فقد تدهورت علاقتها الزوجية بقولها: «قبل الحصار، كانت حياتي مستقرة جدًّا جدًّا ولدينا أهداف مستقبلية مشتركة وحب صادق، وعند حدوث أي مشكلة كانت هناك تنازلات بقناعة تامة. ولكن بعد الحصار تأثرت علاقتي بزوجي كثيرًا وبدأ يكرّر كلمة الطلاق». فكما نرى أنّ بعض العلاقات الزوجية ساءت، مما يؤثّر بلا شكّ على استقرار الأسرة وتماسكها.

٣.١.٣ ضعف التواصل بين أفراد الأسرة

لقد أدّى حصار قطر إلى الحدّ من التواصل بين أفراد الأسرة. وأشار العديد من المبحوثين والمبحوثات إلى محدودية التواصل مع أقاربهم بعد حصار قطر واقتصره على برنامج الواتس آب (WhatsApp) أو المكالمات الهاتفية المقتضبة خوفًا من القوانين التي استحدثتها دول الحصار ضد المتعاطفين مع دولة قطر. وأشار بعض المبحوثين إلى أنّ بعض الأهل في دول الحصار الخليجية لا يردّون على مكالمات أقاربهم من قطر بل إنّ عددًا منهم قد خرج من مجموعات الواتس آب (WhatsApp)، فانخفضت بالتالي وتيرة الاتصالات بينهم إلى حد كبير. وذكرت أيضًا إحدى المبحوثات في المجموعات البوذية إلى أنّ الكلام مع أهلها في البحرين قلّ بصورة كبيرة من الطرفين قائلة: «أصبح الأهل في البحرين يخافون يتكلمون وأصبحنا نتجنّب الحديث معهم ويتجنّبون الحديث معنا».

وأكد المبحوثون في المقابلات المتعمّقة على نتائج المجموعات البوذية في أنّ الاتصالات أصبحت قليلة بعد الحصار واقتصرت على حالات الضرورة، حرصًا على عدم حدوث مناقشات بين أفراد الأسرة من ناحية، وتجنّبًا لتعرّض الأقارب لأيّ عقوبات بسبب القوانين التي سنّتها دول الحصار. وفي هذا الموضوع، قالت إحدى المبحوثات القطريات التي كانت متزوّجة من سعودي ولها 6 أبناء: «الاتصال صار قليل وما نتّصل إلا للضرورة ونسلّم عليهم، لأنّ كنا بندخل في صراع مع الأسرة وتكون فيه مشكلات، ولما نتّصل عليهم نكون ملتزمين أن نسأل عن حالتهم وصحتهم بس، ونختصر في الكلام لأنهم أيضًا يخافون لأنّ التلفونات مراقبة». وقد حدا الأمر ببعض الأقارب من دول الحصار أن يتواصلوا مع أقاربهم في قطر بعد الحصار من أرقام لدول أخرى، وأشارت إحدى المبحوثات السعوديات المتزوّجة من قطري بأنّ أحد أعمامها يتواصل معها من رقم بريطاني لأنّه لا يستطيع التواصل من رقم سعودي؛ ويعود ذلك لخشيته من قوانين وإجراءات دولهم لمن يتعاطف مع قطر.

ومن ضمن معاناة البعض ما يتجسّد في حالة أبو العنود الذي يجد صعوبة في التواصل مع أبنائه الذين يعيشون مع طليقته في البحرين وعدم تمكّنه من التواصل بصورة كافية بالنسبة له، إذ إنّ تواصله معهم يقتصر على التليفونات وبرنامج سكايب (Skype) وهذا الوضع لا يريحه كأب يرغب في الاطمئنان على أبنائه بشكل دائم من جميع النواحي. وقد عبّر عن ذلك قائلاً: «أتواصل عن طريق التليفونات والسكايب (Skype) وطبعًا هذا لا يكفي لأنّ ما شوفهم ولا أحسّ فيهم ولا أعرف إيش ياكلون وإيش يشربون».

وتعاني الأسر المتضررة من عدم قدرتها على التواصل مع أقاربها من كبار السن الذين كانوا يقومون بزيارتهم مرة في الشهر على الأقل في دول الحصار لتقديم الرعاية لهم، والذين يتعدّد قدامهم لقطر بسبب حالتهم الصحية . فأصبحت الأسر غير قادرة على السفر إليهم بسبب العقوبات التي وضعتها دول الحصار، كتصاريح السفر وساعات السفر الطويلة. وقد شخّصت أم مريم، متزوجة من بحريني، ذلك بقولها: «المشكلة أنّ جدي وجدتي من أمي في البحرين وهم كبار في السن، لازم نروح لهم على الأقل في الشهر مرة لكن الآن ما عندنا أيّ طريقة، وهذا أثر علينا كثيرًا جدًا لأنهم كبار في السن ومحتاجين رعاية وعناية».

وقد حال الحصار أيضًا دون مشاركة الأهل والأقارب في المناسبات الاجتماعية وأداء الالتزامات والواجبات الاجتماعية نحو أهلهم وأقاربهم في دول الحصار، خوفًا من المشاكل الناتجة عن الإجراءات التي قد تتبّعها دول الحصار معهم. وعبرت إحدى المبحوثات البحرينيات في المجموعات البؤرية عن ذلك قائلة: «هناك مناسبات لم نستطع الذهاب إليها مثل حالات الزواج والوفاة، وأصبحنا نتجنّب الذهاب إلى هناك لأننا لا ندري ما الذي سيصيننا من مشاكل». وقد أكّدت سيّدة سعودية متزوجة من قطري على ذلك فقد كانت تقوم بزيارة أهلها في المناسبات والأعياد قبل الحصار لكنها حاليًا لا تقوم بذلك، فقالت: «كنت أزور أهلي في الأعياد دايماً لكن بعد الحصار ما قدرت أسافر، كانوا دايماً أهلي يجوني قطر وأنا أروح لهم لكن من شهر ٣ الماضي ما قدرت أروح السعودية».

إذن، فقد تسبّب الحصار في آثار اجتماعية سلبية متعدّدة انعكست بشكل كبير على العلاقات الأسرية والقربانية بين أبناء دول الخليج الذين تجمعهم علاقات وطيدة وتقارب اجتماعي كبير. فقد أحدث الحصار خللاً في النسيج الاجتماعي بعد تشتت شمل الأسر والإجراءات المُجحفّة التي قامت بها دول الحصار نحو القطريين ونحو أبنائها المتعاطفين مع قطر. كما تأثرت العلاقات الأسرية بالخطاب الإعلامي لدول الحصار ولاتجاهات دولهم نحو قطر، ما خلق العديد من المشاكل بين الزوجين والأسر والأقارب وسبّب نوعًا من الجفاء والقطيعة بينهم، وأثر على التواصل بين الأهل الموجودين في دول الحصار ودولة قطر. فقد أقحم الشعب الخليجي في خلاف سياسي مبني على ادّعاءات باطلة، وقد يتطلّب ترميم هذه العلاقات وإعادتها إلى سابق عهدها وقتًا طويلًا قد يستنزف العلاقات ويضرّها أكثر.

٢.٣ التحديات النفسية

تعدّدت أوجه التأثيرات النفسية على الأسر المتضررة، إذ لامست مختلف أفراد الأسرة بدرجات متفاوتة، وتتمثل في ما يلي:

١.٢.٣ الصدمة النفسية

عبرت بعض الأسر عن صدمتها النفسية عند بدء إعلان الحصار وما ترتّب عليه من طرد المواطنين القطريين من الدول الخليجية الثلاث. وتذكر إحدى الأمهات في إحدى المجموعات البؤرية صدمتها النفسية قائلة: «أنا في صدمة ولا أصدّق ما حدث، أشعر أنني في حلم سوف

ينتهي وأرى أسرتي». وعبرت مبحوثة أخرى عن صدمة ولدها بالحصار قائلة: «لقد انصدم ابني، لا يستطيع النوم، يراقب الأخبار وما يقال عن قطر، يتابع باستمرار كافة وسائل التواصل الاجتماعي متأثراً جداً بما يقوله خاله عن قطر».

٢.٢.٣ الخوف والقلق

عبرت كثير من الأسر عن خوفها وقلقها نتيجة تدمير العلاقات مع الأسر وفيما بينها، فبعضها أعرب عن خوفه وقلقه على مستقبلهم ومستقبل أطفالهم نتيجة هذه الأزمة السياسية و«الخوف على الأسرة». فقالت إحدى المبحوثات: «دائماً خائفين من تفكك الأسرة»، وعبرت أخرى قائلة: «دائماً خائفين ومتوترين». وقالت أخرى: «بسبب التهديدات أصبحنا نخاف على أنفسنا»، فيما ذكرت أخرى: «خوف وقلق مستمر من عدم تمكننا من رؤية الأهل في دول الحصار خاصة مع تهديد تلك الدول». وتقول إحداهن: «كانت أمي قلقة ولا تنام وضغطها مرتفع وحالتها صعبة وكانت تقول لنا مهما حدث لن أتخلى عنكم».

وتحدثت عدد من المبحوثات عن خوفهن وقلقهن من المستقبل على وضعهن ووضع أبنائهن. فقالت إحداهن: «ماذا سيحدث غداً؟»، وذكرت مبحوثة أخرى: «لا أعرف كيف سيكون الوضع، هل سيكون التضحية بمستقبل أبنائنا؟ (بما أن ابنها يدرس في مملكة البحرين وفي السنة الأخيرة) هل سيسمح له كل مرة ويُعطى تصريح؟».

وعبرت مبحوثة أخرى عن شعورها بالتوتر والخوف من عدم العودة لدولة قطر قائلة: «أشعر بالتوتر والخوف ألا أستطيع العودة لدولة قطر». وقالت أخرى: «حالي النفسية صعبة، أخشى إذا عدت للسعودية أن لا يسمحوا لي بالعودة لدولة قطر». وشرحت أخرى وضعها: «عشت وضغاً صعباً، شعرت أنني بين نارين بين أمي وأبي، وكيف سوف أترك أمي في قطر ومتى أستطيع أن أراها».

ومما يدعو على الخوف عند بعض الأسر المقيمة في قطر هي مسائل متعلقة بحمل جنسية خليجية من إحدى دول الحصار. فذكرت إحدى المبحوثات في المجموعات البؤرية: «شعرنا بالخوف لأنهم أخبرونا بأنه سيتم سحب جنسيتنا إذا لم نرجع للبحرين، حتى أنا ما أحس بالانتماء للبحرين». وأشارت أخرى: «أنا متعبة، أريد الحصول على تصريح، عشت في رمضان بشيء من القلق وجواز سفري قد انتهى». وذكرت مبحوثة: «أصبت بالذعر بعد الحصار خشية أن يتم تسريحي من العمل لأنني بحرينية الجنسية».

وبدأت مظاهر الخوف والقلق لدى البعض تؤثر على النوم والأحلام، فقالت إحدى المبحوثات: «حلمت بأن عمي وأبنائه عندنا في منزلنا، لكن لم نكن كذلك هل يعقل أننا وصلنا إلى هذا الحد؟» ومنهن من عبرن عن قلقهن وخوفهن وما ترتب عليه من الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي قائلة: «أصبحت مدمنة على وسائل الاجتماعي، أول شيء أقوم به البحث فيها عن الأخبار». وقالت أخرى: «نحن متعبين جداً، لا نعرف النوم»، وذكرت مبحوثة أن شدة القهر الذي تشعر به تجعل الأمر أشبه بحلم وأبعد ما يكون عن الحقيقة.

أشار عدد كبير من الأسر إلى تجنّبهم للحديث مع الأهل في دول الحصار أو الاقتصار على الحديث والسؤال المقتضب. فقالت إحدى الأسر: «إننا فقط نسأل أهلنا هل أنتم بخير، وبشكل رسمي لا نتطرّق لأيّ موضوع، فقط سؤال عن الأحوال». وذكرت مبحوثة: «عائلتي في البحرين متحفظة، لا يخوضون في الكلام عن السياسة وذلك بسبب خوفهم من العقوبات من قبل دولهم».

وذكر بعض المبحوثين خوفهم من الحديث مع الأهل في إحدى دول الحصار وتجنّبهم الحديث مع أهلهم في دولة قطر خوفًا عليهم من قانون التعاطف الذي أصدرته دول الحصار على مواطنيها. وأشارت بعض الأسر إلى أن أهلهم أيضًا باتوا يخافون ويتجنّبون الحديث معهم، فقالت أسرة: «أصبح التواصل بيننا قليلًا وأصبحوا يتجنّبون الحديث معنا». وعبرت مبحوثة أخرى قائلة: «أصبحت لا أتحدّث مع أخواتي براحة في المكالمات السابقة». وتقول أخرى: «الأسرة في البحرين متعاطفين مع قطر لكنهم خائفون من القرارات الأمنية فأصبحنا نخشى الحديث مع بعض». وأكدت أسر أخرى حجم الأثر النفسي الواقع عليها نتيجة عدم قدرتهم على التعبير عن مشاعرهم خوفًا من العقاب تبعًا لقانون منع التعاطف.

٣.٢.٣ مشاعر الحزن والأسى

وصفت بعض المبحوثات شعورهنّ بالحزن والأسى نتيجة ما آلت إليه الأمور، فقالت إحداها: «نشعر بالحزن فالحصار تسبّب في فقدان إبنى لوظيفته في طيران الخليج»، وقالت مبحوثة: «إبنى يبكي رغم كبر سنه لأنّه لا يستطيع المجيء لنا في دولة قطر». وقالت إحدى الزوجات من المملكة العربية السعودية: «أبكي مرارًا وتكرارًا لأنني لا أستطيع حضور زواج أخوتي، بالرغم من أنهم أجلسوا حفل الزواج للشقاء لتنفكّ الأزمة، وما أعرف إيش أسوي».

٤.٢.٣ تناقض المشاعر

كان من أبرز ما طرحته بعض هذه الأسر تناقض/تضارب مشاعرهم نحو أهلهم، فتحدّثت امرأة إماراتية، متزوّجة من قطري، عن علاقتها بأخيها في إمارة أبو ظبي. فذكرت مدى تضرّرها شخصيًا وتضرّر أطفالها نتيجة سلوك شقيقها وعدوانه اللفظي عليهم (وكانت تبكي بحرقة شديدة)، وما ترتّب جرّاء هذا العدوان على أطفالها وسؤالهم لها عنه وطلبها منهم تجاهل أي إساءة من شقيقها عليهم وعدم الردّ عليه. كما تحدّثت بعض الأسر عن تأثير فصل الأطفال عن أحد الوالدين، حيث ذكرت إحدى الأمهات أنّها لم ترى ابنتها من ذوي الإعاقة في البحرين منذ بدء الأزمة، كما أنّ إبنها الذي يحمل الجنسية القطرية لم يعد قادرًا على رؤية والده في البحرين.

وذكرت أسرة أخرى بأنّ مشاعر أبنائها تغيّرت بشكل سلبي تجاه أوالهم في دولة الامارات العربية المتحدة، «الأمر الذي أثار علينا نفسيًا»، وقالت مبحوثة أخرى: «أشعر بالخجل عند مقابلة صديقاتي القطريات بسبب جنسيتي السعودية وبسبب كلام السعوديين عن قطر». وقد أصبح الحصار بالنسبة لبعض الأسر أمرًا تمّ الاعتياد عليه، حيث قالت إحدى المبحوثات: «أشعر بالاعتياد على الحصار». وعن الشعور بالقهر والانعزاج، عبرت إحدى المبحوثات عن مشاعرها قائلة: «نشعر بالقهر والانعزاج، أصبحت المعاناة أكبر».

٥.٢.٣ فقدان الإحساس بالأمن والأمان

شعرت كثير من الأسر في هذه الأزمة بفقدان الإحساس بالأمن والأمان. فذكرت إحدى المبحوثات: «لقد أصبحت سجيناً، لا أشعر بالأمان في البحرين، أشعر أنني في أي لحظة سوف يمنعوني من الرجوع لدولة قطر»، وعبرت أخرى قائلة: «زوجي منكسر قلبه لأنني لم أقم بزيارة البحرين منذ بدء الحصار على دولة قطر، ونفسي تتعبت لأن هناك الكثير من المناسبات العائلية لم أحضرها مثل زفاف أختي وبنات خالتي وأنا معتادة على حضور مناسباتنا العائلية باستمرار، أنا مضحية لأجل زوجي».

وأشارت مبحوثة: «أشعر بالأمان هنا أكثر من السعودية، وعائلتي في السعودية يتساءلون هل بعد الحصار مازال في أمن وأمان، وأنا دائماً أقول لهم أننا بخير». وعبرت مبحوثة أخرى عن إحساسها بالسجن قائلة: «أشعر أنني مسجونة، كنا نؤمّن السفر إلى هذه الدول لأهلنا، الآن أصبح من الصعب علينا الذهاب إليها وأصبحت غير آمنة»، وقالت أخرى: «هناك ضغط نفسي وحالتي النفسية صعبة فأنا خائفة أن أذهب ولا أعود إلى قطر».

٦.٢.٣ المعاناة النفسية

أشارت إحدى الأسر إلى معاناتها لرؤية وزيارة أقاربهم وأهلهم في دول الحصار. فقالت مبحوثة: «حدّدوا لنا الخط الساخن، يجب الاتصال عليه للحصول على موافقة لزيارة الأسرة هناك، أنت لا تعرف من الشخص الذي يردّ على هذا الخط؛ ويضاف إلى ذلك السفر غير المباشر، ومنع الخطوط الجوية القطرية من السفر لها، علينا استخدام طيران أخرى وخط سفر غير مباشر». وتحدّثت أسرة أخرى عن خبراتها في السفر للبحرين لرؤية ذويها، قائلة: «لم تكن خبرة سيئة رغم أنها رحلة غير مباشرة». في المقابل، أشارت إحدى الأسر إلى تجربتها في السفر للبحرين لرؤية أسرته قائلة: «كانت تجربة سيئة وسوء معاملة بعض الموظفين في المطار وعدم إحساس بالأمان».

وناقش البعض تأثيرات الحصار على المسنين، فذكرت إحدى المبحوثات واقعة عند الحدود البرية بين قطر والمملكة العربية السعودية، فعندما جاءت والدّة زوجة أخيها السعودية الجنسية من السعودية لزيارة ابنتها المريضة، طلبت السلطات السعودية من الأمّ المسنّة أن تنزل من السيارة وتركها في الجمارك؛ ولكن تدخل زوج ابنتها للسماح للسيارة بالدخول هو ما حال دون نزول المسنّة من السيارة. وقالت سيّدة مسنّة أخرى: «أنا امرأة مسنّة فكان الأمر متعباً للغاية، بناتي يخافون أن يأتوا ليس لديهم القدرة ومعني ولد وحيد وهو مريض في الإنعاش، بطاقته انتهت ولم يتمّ تجديدها».

عبرت مبحوثة عن معاناتها قائلة: «إننا متعبون نفسياً للغاية، مثلاً أنا لم أتمكّن من رؤية ابني سوى مرة واحدة وهو لا يستطيع أن يأتي، يحتاج لتصريح ولم يتمّ الردّ عليه لآن». وذكرت مبحوثة أخرى: «أنا أمّ لأربع أولاد وبنات من ذوي الإعاقة؛ في الأسبوع الأول من الحصار في شهر رمضان الكريم، طلب منا الخروج خلال أسبوعين من البحرين». وأشارت مبحوثة أخرى قائلة: «أولادي مواليد الدوحة لا يعرفون البحرين إلا عند تجديد الجوازات». ويتبيّن لنا من

الاقْتباس السابق أن بعض الأسر من حاملي جنسيات دول الحصار المقيمين في قطر يشعرون بالانتماء لها أكثر من بلدهم الأم، وتُعتبر جنسياتهم مجرد وثائق سفر، وما يدعوهم للخوف هو أن يتم استدعاءهم للعودة للعيش في بلد لم يعتادوا عليه.

٧.٢.٣ الإساءة النفسية عبر وسائل التواصل الاجتماعي

تحدثت بعض المبحوثات في المجموعات البؤرية عن الإساءة النفسية التي يتعرض لها الأبناء من أقاربهم من دول الحصار، فذكرت إحداهن: «أخي يبعث لأبنائي رسائل تسيء لدولة قطر». وأشارت مبحوثة أخرى أنه بسبب الإساءة النفسية والحساسيات التي نشأت «غادر أبنائي المجموعات على بعض وسائل التواصل الاجتماعي التي يستخدمونها» ليس فقط بسبب الإساءة النفسية عبر تلك الوسائل لكن أيضاً بسبب الاستفزاز الذي يسببه ما يكتب فيها». وذكر أبو ناصر أحد المبحوثين القطريين «أبنائي كانوا يواجهون بعض المشكلات ويسمعون عن أفعال قامت بها المملكة ودولة الإمارات العربية المتحدة تجاه قطر، أشبهها بالألعاب الالكترونية، وكلها تؤثر على الأطفال وعلى الأسرة».

٣.٣ التحديات التعليمية

أوضح تحليل المحتوى للمقابلات أن الأسر المختلطة أو حاملي جنسيات دول الحصار يشعرون بشكل عام بالأمان في دولة قطر بما يتعلق بحصول أبنائهم على التعليم وعدم توقّفهم عن استكمال دراستهم في المراحل التعليمية المختلفة. وأكّدوا أن إدارة التعليم في وزارة التعليم والتعليم العالي لم تعرّضهم لأيّ إجراءات مماثلة، أو إقصاء لأبنائهم من التعليم. بل أكّدوا أن أبنائهم يعاملون معاملة عادية وحسنة بنفس المستوى السابق، وأنّ التربويين في المدارس لم يعرّضوهم لأيّ موقف يمكن أن يعتبر إساءة لهم، أو يؤثر على تعليمهم.

وعلى الرغم من أن الطلاب في قطر من جميع الجنسيات يتمتّعون ببيئة دراسية آمنة، إلا أن طلاب المراحل الجامعية ممن كانوا يستكملون تعليمهم في إحدى دول الحصار هم من يواجهون الصعوبات والتحديات الأكبر. فدول الحصار اضطرتهم للعودة لقطر، مما يعني انقطاعهم عن التعليم ووضعهم في وضع حرج وصعب، فهم غير قادرين حتى على أخذ إثبات باستكمال موادهم الدراسية من أجل معادلتها في جامعات أخرى، وهذا ما يتركهم أمام مستقبل مجهول.

١.٣.٣ الشعور الآمن في مدارس قطر

تكرّرت من المبحوثات نفس العبارات المؤكدة على الشعور بالأمن في قطر وفي مدارس قطر، وأنّ أبنائهن لم يتعرّضوا لأيّ عقبات أو مشاكل في المدارس. فذكرت أم فهد إحدى الزوجات البحرينيات وأم هلا، وهي قطرية متزوجة من بحريني، أنّ الحصار لم يؤثر على أبنائهم لأنهم مازالوا صغاراً ويدرسون في قطر. وأكّدت هيا إحدى المبحوثات وهي طالبة بقولها: «التعليم ما أثر علينا أنا وأخوتي لأننا قطريون». وتتنفق معهن أم عبدالله وهي سيّدة سعودية متزوجة من قطري: «في التعليم ما في تأثير على بنتي لأنها قطرية». وقالت قطرية أخرى متزوجة من بحريني: «لم يؤثر الحصار على تعليم أبنائي لأنّ الدولة متكفّلة بهم، وما في جديد على دولة قطر».

ولكن أبو ناصر، وهو قطري، أبدى قلقه من تعلّم أبنائه الكذب والألفاظ غير اللائقة من المدرسة: «نوجّه الأطفال بتعليمهم عدم الكذب، وإذا سمعوا شيء في المدرسة ما يردون على أحد. أعتقد أنّ الحصار كان له دور إيجابي في التصديّ للشائعات، لكنّه سلبي لأنّه يعرّض أبناءنا لعدم التواصل وتعلّم عدم صلة الرحم». وذكر فهد وهو سعودي من أم قطرية «جواز ولدي منتهي لكن في قطر محد سألني عن شيء، ولا قالوا لي شيء في المدرسة، أو أيّ جهة أخرى، لأنّ المدرسة متفهّمة وضعي جدًّا».

٤.٣ التحدّيات الصحية

نتناول في هذا القسم الآثار الصحية والتربوية للحصار من خلال عدة عناصر:

١.٤.٣ الشعور بالصدمة

قد يؤثر الشعور بالخوف والقلق على صحة الفرد وقد يؤدي إلى حالة نفسية وخصوصًا عند سماع أخبار صادمة كحصار بلاده وعدم قدرته على السفر للقاء أسرته كما تبين لنا في ما سبق. فذكرت إحدى الزوجات وهي سيّدة بحرينية: «انصدمت، ما أقدر أفكر، دايمًا متوترة وأفكر دايمًا شلون أشوف أهلي». وقالت حصة وهي قطرية: «انصدمت لأنّه كان غير متوقع، وظلّ جرحًا عميقًا في قلب كل قطري». وعبرت أم عبدالله وهي سعودية متزوجة من قطري قائلة: «أنا مصدومة ومتوترة وخائفة، ما أعرف إيش بيصير، أبكي باستمرار».

٢.٤.٣ التأثير المادي على تكاليف الصحة

اندرج التأثير الماديّ على تكاليف الصحة ضمن تداعيات الحصار. فذكر أبو العنود أحد المبحوثين القطريين والمتزوج من بحرينية: «الحصار أثر عليّ مادياً، دفعت أموال كثيرة عشان العيال، قبل السفارة تدفع التكاليف الصحية، اليوم لا، عليّ أن أدفع كل شيء، لأنني دفعت كل شيء من جيبي في دولة الإمارات العربية المتحدة، والآن غادرتها، وتضررت كثيرًا، وأن أعيد برنامجي في الدكتوراه، ولسه ما لقيت قبول في الجامعات، بمعنى آخر خسرت دراستي وتكلفت مادياً».

ومما لا شكّ فيه أنّ كلّ هذه العوامل من خوف وقلق وحزن تؤثّر سلبيًا على الصحة الجسمية والنفسية للأفراد وتساهم في زيادة حجم الضغوط عليها. وذلك ما دفع البعض من الأسر المختلطة إلى طلب مساعدة المختصّين، فقد قام بعض الأفراد بزيارة أطباء نفسيين لمساعدتهم في التغلب على الضغوط النفسية وتخطيها. في هذا الصدد، ذكر قطري متزوج من بحرينية: «أنا ما زرت الطبيب النفسي، بس أختي زارته»، وذكرت مبحوثة أنّ زوجها بدأ يتابع حالته مع طبيب نفسي.

٣.٤.٣ كبار السن ورعايتهم الصحية

ذكرت إحدى المبحوثات القطريات أنّ أسرته تعرّضت لأذى نتيجة عدم قدرتهم على التواصل مع الجدّ والجدّة الكبار في السن لأنّهما يعيشون في المملكة العربية السعودية، وأسرته تشعر

برعب كبير على صحتهم، ومن سيقوم برعايتهم، فقد كانوا من قبل يداومون على زيارتهما ورعايتهما، وتعتبر عدم الرعاية لهذين المسنين مشكلة كبيرة في الأسرة.

كانت أكثر العبارات تكرارًا تلك المتصلة بعدم التواصل مع كبار السن، وخاصة الخوف من فقدانهم وعدم القدرة على زيارتهم. ولقد تكررت هذه العبارات في جميع المقابلات. فعلى سبيل المثال قالت إحدى المبحوثات: «عندنا رعب، خاصة أنّ جدي وجدتي كبار في السن، ووالدتي في حالة قلق دائم، وتريد رؤيتهم والاطمئنان عليهم، ولا تعرف ما ذا تفعل». وقالت سيّدة سعودية متزوجة من قطري: «أهلي كلّهم في السعودية، أبوي وأمي كبار في السن، وما عندي أقارب في قطر، أحسّ أنني أتدهور من كثرة التفكير بأهلي». وذكرت قطرية متزوجة من بحريني: «لو حصل أيّ حادث وفاة لأيّ شخص أو مرض، لا نستطيع زيارتهم. جدّة العيال كبيرة في السن، وما تقدر تسافر بسبب صحتها، وقلنا نشوفها في مسقط». وأورد فهد، وهو سعودي من أمّ قطرية، أنّ «الحصار أثر عليّ نفسيًا وصحيًا وأنا متضايق، دائمًا أفكر في أهلي، وفي والدي كبير السن، إذا حصل له أي شيء كيف أقدر أشوفه، أو أزوره».

يتبيّن لنا أنّ الحصار أصبح عائقًا أمام رعاية الأسر لأفرادها من كبار السن ممن يعيش في دول الحصار، ويشكل هذا الوضع ضغطًا نفسيًا على الأبناء الذين يقدمون هذه الرعاية كما يؤثر سلبيًا على صحة كبار السن الجسدية والنفسية.

٥.٣ الآثار المترتبة على رفاه الطفل

فيما يتعلق بالتحديات التي تواجه رفاه الطفل، قمنا بتعيين المواضيع التالية: خطر السفر، التعليم في المدارس، وأثر شبكات التواصل الاجتماعي، والتحصيل التعليمي والاستمرارية، بالإضافة إلى العلاقة الزوجية.

١.٥.٣ خطر السفر

يواجه الأطفال، في مناطق الصراع أو الحرب، مخاطر عدة أثناء السفر تتعلق بالسلامة والحماية والخوف وإمكانية التعرّض للصدمات. وبالرغم من أنّ حصار قطر ليس حربًا عسكرية إلا أنّ المواطنين القطريين وغيرهم من مواطني دول الحصار المقيمين في قطر، بمن فيهم الأطفال، يخشون السفر إلى هذه الدول. وكشفت المقابلات أنّ معظم الآباء والأمهات ممن لديهم أطفال ذكروا أنّ أطفالهم ما زالوا يريدون السفر لزيارة عائلاتهم في دول الحصار، ولكنّ بعض الأطفال أصبحوا لا يريدون السفر إلى أيّ من هذه الدول، حتى لو كان لديهم أقرباء من الدرجة الأولى هناك، لأنّهم يخشون من مواجهة مشاكل على الحدود تمنعهم من العودة إلى قطر. وقال آخرون أنّ أطفالهم بدأوا يستهجنون ما قامت به الدول المحاصرة لقطر لذلك فهم لا يرغبون بالسفر إليها بعد الآن.

وقد حدث هذا لعدد من الأشخاص من بينهم أم راشد، قطرية، ذكرت أنّ «الإمارات سببوا لنا مشاكل لقطر والشيخ تميم»، وتردّد كلمة «كلنا تميم المجد». وذكرت قطرية مطلقة من بحريني أنّ جواز السفر هو الوثيقة الرسمية التي تمكّن أي أحد من السفر، لكنه أصبح الآن سجنًا، فحرية

التنقل التي كانت مكفولة لهم أصبحت منعقدة بسبب الحصار. وعددت أم جاسم مجموعة من المخاوف والمشكلات التي تواجهها فيما يتعلق بأبنائها وباستكمال تعليمهم وضرورة توفر أوراق ثبوتية، فقالت: «الحصار أثر على أولادي كثير لأنهم خائفين لأن جوازاتهم انتهت و ما عندهم جوازات جديدة ولا يقدرّون يسافرون السعودية علشان التجديد، وهذه مشكلة كبيرة بالنسبة لأولادي وخصوصًا الصغار في المدارس، السنة هذه دخلوا لكن السنة الجاية لازم يكون عندهم جوازات علشان المدرسة تطلب أوراق ثبوتية». وأعربت أم جاسم عن خوفها الشديد من إبعاد أبنائها عنها قسرًا، فقالت: «هذه مشكلة تواجهني جدًّا ودايمًا خيفة على أولادي إن أبوهم يأخذهم السعودية من غير ماعرف لأن أبوهم موجود في قطر، و قال ما يروح السعودية من غيرهم، من حقه أن يسافر ويأخذ الاولاد، بس أنا دايمًا أقول للاولاد لا تسمعوا كلامه يكذب عليكم و يقول لكم إلي يروح معي فسحة او نزهة يوم يأخذكم من غير علمي. لازم تخبروني قبل ما تعملوا أي شي. دايمًا أسأل عليهم لأن أخاف يجي يأخذهم من المدرسة أو يكذب عليهم. وطبعًا هذا أثر عليهم كثير ونفسياتهم تعبانة ودايمًا خائفين ومتوترين وأنا دايمًا خيفة عليهم. حتى أصحاب أولادي جاتهم رسالة من السعودية أن لازم يرجعون السعودية بس للحين ماجات رسالة لأولادي و دايمًا أسألهم جاتكم رسالة ولا لا، هذا خوف شديد وما نعرف نعمل إيش. دايمًا أقول لأولادي لا تخافون قطر موجودة وإن شاء الله ما تكون عندهم هوية ما في مشكله أهم شي ما ترجعون السعودية ودايمًا أتصل عليهم وأشوفهم لو في أي شي حصل لهم». ومثل هذه الظروف تضع الأطفال تحت ضغوط نفسية كبيرة، فهم يبغون مشتتتين بين رغبات والديهم وقرارتهم، مما قد يضعهم أمام خيارات صعبة من أجل رضا والديهم.

ومن المسائل الأخرى التي طرحت هي طول ساعات الانتظار في المطار بسبب طول وتعقيد الإجراءات، مما يسبب التعب والإرهاق للأطفال وعائلاتهم أثناء السفر. فذكر أبو مهرة، وهو قطري متزوج من بحرينية، أنه كان لأطفالهم نصيب من هذا التعب، فسرّد لنا: «لما وصلت البحرين قالولي صفّ على جنب. صفّيت على جنب وتميت أنتظر، اعملوا لي تفتيش يسألوني إيش أعمل وسبب الزيارة وقتلهم زوجتي وعيالي في البحرين وفي النهاية دخلوني وقعدت في البحرين 4 أيام ورجعت بس رحلة الرجوع بعد قصة. يوم راجعين أنا وزوجتي من البحرين قالوا لي في المطار أسافر انا وعيالي بس زوجتي ما تسافر وطلبوا مني إثبات الزواج. العسكري صعب الأمور وكان باقي على الطائرة ساعتين، وانا ما عندي إثبات زواج لأن ما فكرت أن راح يطلبونها مني. فكلّمت أم زوجتي وقتلتها لو عندك نسخة من إثبات الزواج أو أي ورقة لأن دايمًا يكون عندها أوراق. المهم لقت الورقة وأرسلتها لي على الواتس آب (WhatsApp)، ورحت للعسكري وقلت له هذه ورقة الزواج. الحمد لله ركبنا الطائرة بس كانت متعبة جدًّا، قريب 9 ساعات».

مثل هذه التعقيدات دعت الكثير من الأسر لإعادة النظر في السفر لدول الحصار تجنبًا للمشقة. فقال مبحوث قطري متزوج من بحرينية: «قبل الحصار كنت أروح أودي زوجتي والعيال وأرجع كل شهر ومرات مرتين في الشهر؛ الآن لنا 4 شهور ما رحنا. هم راحو أنا رجعتهم لأن دايمًا يسألون من الزوج و أنا بكون خائف أن يمسخوا العيال». أما أم هلا قطرية و متزوجة من بحريني فقالت: «أحاول أفهم بناتي أن في يوم راح ينرفع الحصار ونرجع نساfer على البحرين والسعودية

بس هم داخلهم خوف شديد أن لو سافروا ما يقدرن يرجعون. أفكر ان أسافر في حالة رفع الحصار بس بروحي، بناتي ما راح أوديهنم لأن أخاف أن ما يرجعون معي».

وعدم القدرة على السفر من بعد تعوّد الأبناء على زيارة أهلهم بشكل دائم له واقع سلبي على الأبناء، حيث قال أبو عبد الله، وهو قطري متزوّج من بحرينية، أن أطفاله دائماً يسألونه «لماذا لا نساfer إلى البحرين ونحن نفتقد أجدادنا ونبي نشوفهم». ويستكمل: «لم أكن أعرف ماذا أقول لهم. وأثر الحصار على الأطفال وايد، كنا كل إجازة نساfer البحرين لكن من صار الحصار ما سافرنا. أول الايام كان الاطفال يسألون ليش ما نروح البحرين لأنهم بيون يشوفون أهلهم وجدتهم بس ما قدرنا نساfer. أخذت العيال إلى مسقط عشان يغيرون شوية جو لأن لازم أشغلهم عشان ما يفكرون في البحرين وأنهم ما راح يشوفون اهلهم قريب». ومن بين المبحوثين سعودي من أم قطرية ومتزوّج من عمانية، مولود ومقيم في قطر ولكن عائلته من جانب أبيه تتواجد في السعودية، فقال: «بس عيالي متأثرين لما يسمعون السعودية، يقولون ما بيون يروحون السعودية، وهذا للأسف يؤثر على تفكير الطفل وعلى انطباعه عن البلد والناس اللي فيها».

وفي إحدى المناقشات التي أجريت مع مجموعة النقاش البؤرية المكوّنة من مجموعة أمّهات، قالت قطرية متزوّجة من إماراتي: «كانوا يقولون استحالة أن نذهب إلى هذه الدول أو لأهلنا، حتى الزواج ولو كان بمن نحب إذا كان من دول الحصار لن نتزوّج من هذه الدول». وقالت قطرية متزوّجة من بحريني عن أطفالها: «أولادي هنا، اعتدنا على الدوحة لا نريد الذهاب منها».

من الواضح أن في سفر الأطفال مخاطرة، وخصوصاً إذا كان الأطفال غير قطريين ويحملون جنسية إحدى دول الحصار. إذ أنه من الممكن أن يُحتجزوا في دولهم في حال سفرهم إليها ولا يُسمح لهم بالعودة لقطر، وفقاً لما تحدّثت عنه أم هلا: «أن لو سافروا أطفالها إلى البحرين ما يرجعون». ويضاف إلى ما سبق تعب السفر والخوف من احتجاز أحد أفراد الأسرة في حال كان من جنسية إحدى دول الحصار، كما حدث لأبو مهرة.

٢.٥.٣ التنمّر في المدارس

قد يتعرّض الأطفال أحيانا للتنمّر من قبل الأقران في المدرسة نتيجة انتمائهم او ارتباطهم، بأي شكل من الأشكال، بإحدى دول الحصار، فقد ذكرت سيّدة بحرينية متزوّجة من قطري أنها تواصل إخبار أطفالها: «لا تخلون شي يؤثر فيكم أو في دراستكم». وبين أبو ناصر تأثر أولاده بالتعليقات التي يسمعونها عن الحصار. في حين أكّدت حصة، وهي قطرية، أن أبناء أخيها الذين يدرسون في مدارس أجنبية تكوّنت لديهم بعض ردود الأفعال السلبية عند رؤيتهم لعلم إحدى دول الحصار. وأعرب المبحوثون عن قلقهم من أن تتحوّل البيئة المدرسية لبيئة غير صحيّة نتيجة للأحداث وتأثر الأطفال بها وبما يسمعون عنها.

وتؤثر هذه القضايا على التطوّر التعليمي للطفل ووضعه في المدرسة. وتبيّن لنا المقابلات أن الحصار قد ساهم في إنتاج إشكاليات وقضايا جديدة للأطفال في المدارس، قد يكون لها أثر على الإنجاز الأكاديمي للطفل وتنميته على المدى الطويل، وهي تحدّيات جديدة أمام الآباء والمعلمين يتوجّب التعامل معها.

٣.٥.٣ تأثير شبكات التواصل الاجتماعية

تلعب شبكات التواصل الاجتماعي في يومنا الحالي دورًا كبيرًا نتيجة لسهولة وصول الجميع لها، بمن فيهم الأطفال، وبالتالي يسهل تأثرهم بما يسمعون ويرون فتتولد لديهم انطباعات سيئة عن دول الحصار. وأكد أبو ابراهيم على هذا الوضع بقوله: «بعض أفراد العائلة تأثر بإعلام دول الحصار، وصدّق بعض ما ينشره، فبعد نقاش مرّة أو مرتين عبر الواتس آب (WhatsApp)، أوقفنا بعدها طرح أي موضوع له علاقة بالشأن السياسي عمومًا، حفاظًا على طيب العلاقة».

وقال أبو ناصر: «الأمور تغيّرت بشكل كبير على الأسرة و خصوصًا على الأطفال، لأنّ الأطفال يجلسون مع الكبار ومرّات الكبار يقولون أشياء ويغلطون في الكلام ويؤثر عليهم في نفسيتهم وهذا نتيجة ما يسمعون من التواصل الاجتماعي. ويقوم الطفل يتلفظ بالكلام مثال ما راح نروح السعودية والإمارات، ويؤثر ذلك في نفسية الطفل ومشكلة صارت عندنا في الأسرة. دورنا أن نوعي الطفل وأن نقول لهم لا يغلطون ولا يسوون وأن الأمور راح تنحلّ يومًا ما؛ في المدرسة أيضًا يواجهون هذه المشكلة ويسمعون إيش سوّت السعودية وإيش سوّت الإمارات مثل الألعاب الإلكترونية، صار في حرب بين السعودية وقطر، وكلها أشياء تؤثّر على الطفل وعلى الأسرة».

وقالت أم عبد الله، وهي سعودية متزوجة من قطري، أنّ ابنتها تأثرت كثيرًا بسبب الحصار لأنّها اعتادت أن ترى أجدادها بشكل دائم، وخصوصًا أنّ زفاف خالتها سيكون في غضون أشهر قليلة وهي ترغب بحضوره. كما بدأت ابنتها في فهم ماهية الحصار وما قامت به المملكة العربية السعودية تجاه قطر. في بعض الأحيان، تقوم ابنتها بتشغيل أغانّ قطرية وتغني، ولكنها توقف تشغيلها عندما ترى والدتها. ولكن أم عبد الله تقول لها: «لا تزعلين إن شاء الله الأمور بتكون طيبة».

وذكرت مبحوثة قطرية متزوجة من إماراتي أنّ زوجها اضطر لترك عائلته منذ إعلان الحصار، فمكث في دولة الإمارات العربية المتحدة لمدة خمسة أشهر، ما ولّد مشاعر سلبية لدى أطفالها و صفتها بقولها: «تأثروا كثيرًا بسبب غياب أبيهم فترة ٥ شهور، وابنتي الصغيرة أصبحت قلقة جدًّا بسبب غياب أبيها ودائمًا تردّد: «الإمارات سبّبوا لنا مشاكل لقطر والشيخ تميم»، وتردّد كلمة «كلنا تميم المجد» وزاد تعلّقها فيني».

من الواضح بأنّ وسائل وشبكات التواصل الاجتماعي قد أثرت على آراء الأطفال وتصوّراتهم ومشاعرهم حيال البلدان المحاصرة، وولّدت لديهم مشاعر سلبية وعدوانية نتيجة كل ما ينشر عن قطر وتأثير الحصار على أسرهم.

٤.٥.٣ التحصيل العلمي والاستمرارية

تصدّرت الشواغل الرئيسية للوالدين في ظل الحصار قضية التحصيل التعليمي للأبناء للعام القادم، ولا سيّما بالنسبة للمرأة القطرية المتزوجة من أحد مواطني دول الحصار. فقد ذكرت إحدى الأمّهات أنّ جوازات سفر أطفالها الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و17 سنة، ستنتهي مدة صلاحيتها خلال هذا العام ولا تعرف ما العمل بالرغم من أنّ الجهات التعليمية في الوقت الراهن لا تسألها عن الأوراق الثبوتية ولكنها خائفة من طلبها في السنة القادمة خاصة أنّ ابنها

مقبل على اختبارات الثانوية العامة. وأوضحت أم أخرى أنها لا تهتمّ إذا تمّ سحب جوازات سفر أطفالها: «البحرينيون والسعوديون والإماراتيون الذين لا يريدون العودة يسحبون منهم الجنسية ويطلبون تسليم الجوازات، لا نريد أن نذهب وليأخذوا الجوازات».

ذكر سعودي متزوِّج ومقيم في قطر: «جواز ولدي منتهي، لكن ما في حد سألني عن أي شي ولا قالوا لي أي حاجة في المدرسة او أي جهة اخرى. المدرسة عارفة وضعي وما سألوني، وهنا في قطر متفهمين جدا الوضع». ومن الوارد أنّه تمّ التغاضي عن هذه المسألة في المدارس لهذا العام، ولكن هناك احتمالية أن يتم طلب جوازات سفر الأطفال والأوراق الثبوتية في العام القادم، مما يدعو لقلق الوالدين من عرقلة مسيرة أبنائهم التعليمية.

أما أم هالة، وهي سيّدة قطرية متزوِّجة من بحريني ولها 7 بنات وولد، قد انتهت مدة صلاحية جوازاتهم جميعهم، فقد ذكرت: «الأبناء تأثروا لأنهم لا يستطيعون أن يسافروا لتجديد الجوازات ولا لزيارة أهلهم في السعودية، بس دايماً يقولون أن قطر بلدهم وأنهم ما يبطلعون منها و طبعا هذا يؤثر عليهم لأن بناتي يحبون قطر ومولودين هنا، حتى زوجي مولود ومن زمان هنا في قطر».

وتواجه أم جاسم المشكلة ذاتها مع أطفالها، وهي سيّدة قطرية متزوِّجة من سعودي، فأطفالها لا يستطيعون السفر لتجديد جوازات سفرهم في المملكة العربية السعودية، وهذا الأمر لم يشكّل أي مشكلة لهم في المدرسة هذا العام، ولكنه قد يكون مشكلة للعام الدراسي المقبل. وتحدّثت عن وضعها قائلة: «الحصار أثر على أولادي كثيراً لأنهم خائفين لأن جوازاتهم انتهت وما عندهم جوازات جديدة ولا يقدرّون يسافرون السعودية علشان التجديد. وهذه مشكلة كبيرة بالنسبة لأولادي و خصوصاً الصغار في المدارس؛ السنة هذه دخلوا لكن السنة الجاية لازم يكون عندهم جوازات علشان المدرسه تطلب أوراق ثبوتية».

هذه المسألة تزعج وتقلق معظم الأمهات القطريات المتزوِّجات من أحد مواطني دول الحصار. وتزداد الحالة سوءاً بالنسبة للأبناء فوق سن 18 سنة الذين يدرسون في إحدى دول الحصار واضطروا إلى إيقاف تعليمهم والعودة إلى قطر. وخلال المناقشة التي أجريت مع مجموعة النقاش البؤرية من الأمهات، قالت إحداهن أنّها تخشى أن تعود ابنتها إلى الإمارات لأنّ لديها منحة دراسية ولا يوجد فيها أي ضمان لسلامتها ورفاهيتها. وقالت أمّ أخرى إنّ ابنها طُرد من الجامعة في الإمارات نتيجة للحصار. ويشكل هذا الوضع تهديداً للشباب الذين يدرسون في إحدى هذه الدول، فهم، عند العودة إلى قطر، لا يعرفون كيفية متابعة هذه المسألة وما الواجب فعله. وتعتبر هذه المسألة من المسائل الهامة التي يجب أن تسترعي اهتمام الجهات المعنية، خصوصاً وأنّ بعض هؤلاء الطلبة قد اجتاز نصف المرحلة الجامعية أو على وشك التخرُّج.

٦.٣ العلاقات الزوجية

كان للحصار أثر على كل ما يتعلق بالأسرة بما في ذلك العلاقات الزوجية، ما قد يكون له تأثير مباشر على الأطفال. وفي معظم المقابلات والمناقشات التي أجريت في مجموعات النقاش

البؤرية، كانت العلاقات الزوجية بين الزوجين تُسَم بالدعم واللفظ والتفهم. إلا أن بعض العلاقات والروابط الزوجية تأثرت بشكل سلبي وكادت أن تنتهي بالطلاق. وذكرت مبحوثة قطرية متزوجة من إماراتي: «نعم، زوجي أصبح عصبيًا جدًا ومشتتًا. وعند أي حديث، يقول لي زوجي هناك كثير من الأسر تضرروا، وبدأ يكرّر كلمة الطلاق. عند مناقشة أي موضوع بسبب الحصار، زوجي يزعج. وخلال غياب زوجي لمدة ٥ شهور، لم أتوقع أن يكون هناك انقطاع، حيث انقطع عن الاتصال هاتفياً طوال المدة، وعند اتصاله كان أسلوبه استفزازياً معي»، ولكنها تؤكد: «كنت كثيرة الاستغفار ومؤمنة بأن ما كتبه الله لي هو خير، وعلى يقين أننا سوف ننتصر على دول الحصار، وكانت نظرتي مستقبلية وأصبحت شخصيتي قوية». ويتبين لنا أنه بالرغم من الأضرار التي لحقت بالعلاقات الزوجية إلا أن بعض الأزواج تمكن من التغلب على الجانب السلبي وبدأ ينظر للأمور بشكل أكثر إيجابية.

أما أبو العنود، وهو قطري طليق لبحرينية، له فتاتان، وتعيش طليقته في البحرين معهما. كانت علاقته جيدة بطليقته، ولكن منذ الحصار، تغيرت طبيعة التواصل بينهما ولم تعد كما كانت. ويخشى ألا يستطيع أن يرى بناته لعدم وجود سفارة قطرية في البحرين. وقال: «علاقتي مع طليقتي طيبة بس صارت بعيدة وما أقدر أتواصل معها مثل لما كانت في قطر. هي انسانية متعلمة ومتفهمة بس صار بعد الحصار ما في سفارة في البحرين تحميني وممكن تقول أن البنات ما يسافرون معاي إلى قطر وفي هذه الحالة لا يوجد من يحميني وهذي مشكلة صارت بعد الحصار».

وأوضح آخرون أن علاقتهم بأزواجهم جيدة وداعمة. ونذكر مثلاً على ذلك شيخة، مبحوثة سعودية متزوجة من قطري، فقد قالت: «زوجي واقف معي في المشكلة هذه ودايمًا يقول لي تُفَرِّج قريب. ما حصلت أي مشاحنات مع زوجي». وأكدت أم مريم، وهي قطرية متزوجة من بحريني أن زوجها يدعمها. أما أبو عبد الله، قطري متزوج من بحرينية، فقد قال: «من ناحية زوجتي علاقتنا طيبة وأمورنا زينة بس هي مشتاقة تشوف أهلها».

وأوضح معظم المبحوثون أن أزواجهم يدعمونهم عندما يشعرون بالاكئاب والخوف لعدم معرفتهم متى سيتمكنون من رؤية عائلاتهم. إلا أن مجرد فكرة المرء بأنه لا يسمح له برؤية عائلته مزعجة وتشعره بأنه مسجون ولا يملك حرية التنقل، ولا بد لهذا أن ينعكس على الأطفال وقد يكون له تأثير سلبي على صحتهم وتعليمهم على المدى الطويل.

٧.٣ التأثير المادي

أما الآثار المالية فارتبطت بارتفاع تكاليف السفر، وصعوبة التحويلات المالية لدول الحصار، وتعطيل استثمارات القطريين ومنعهم من التصرف في ممتلكاتهم. ففي الواقع، زادت تكلفة السفر منذ الإعلان عن الحصار لأن العديد من شركات الطيران ذات التكلفة المنخفضة توقفت عن تسيير رحلاتها من قطر وإليها، وأصبحت العائلات التي تسافر من قطر وإليها مجبرة على استخدام خطوط طيران تمر عبر الكويت أو عُمان من أجل الوصول للسعودية والإمارات والبحرين؛ وبالتالي زادت تكلفة التذاكر وطال وقت السفر. أما بالنسبة لتحويل الأموال إلى أي من دول

الحصار، فقد أصبح يستغرق وقتًا أطول مما كان عليه في السابق. ويذكر أبو عبد الله: «الحصار أثر ماديًا من ناحية التحويلات لأن صارت في صعوبات في التحويل ويأخذ وقت طويل، مثل قبل الحصار، كان التحويل عن طريق أي بنك سهل جدًا وفي نفس اليوم يستلمونه». وقال أبو مهرة الذي يقوم بتحويل أموال إلى عائلته في البحرين: «الحصار أثر ماديًا في التحويلات إلى البحرين. كان في صعوبة في التحويل لأن البنوك البحرينية لا تستقبل من قطر، حتى صار أن ما يأخذون فلوس قطرية في البحرين وممنوع استعمال فلوس قطرية». وأكدت أم فهد أن والدها كان يرسل لها أموالاً من البحرين ولكن الآن أصبح استلامها في قطر يستغرق وقتًا أطول». الحصار أثر عليّ ماديًا لأن أبوي كان يرسل لي فلوس مرّات لو محتاجة شي، بس التحويل صار صعب الحين. وكانوا يرسلون لي فلوس وهدايا بالبريد بس اتصّبت الأمور».

وأشار بعض المبحوثين إلى أنهم فقدوا ممتلكاتهم في دول الحصار أو مبالغ مادية كبيرة للاستثمار، مما يعني تكبدهم خسائر مالية جسيمة. وأكدت أم جاسم: «الحصار ما أثر ماديًا عليّ، بس كانت عندي فلوس عند واحد في الإمارات وكنت بشتري قطعة أرض بس بعد الحصار، راحت الفلوس وما رجع لي أي شى وكان مبلغ كبير». ويواجه الأشخاص الذين يملكون أصولًا في دول الحصار صعوبات في متابعتها أو التصرف فيها: فالبعض قد أنهى دفع بعض الأقساط لامتلاك الأصول ولا يعرفون مصيرها الآن وما إذا كان سيتم استكمال عملية الشراء أم أن ما دفع من مبالغ لن يعود لهم. فعملية تسهيل الأموال أو الاستثمارات أو حلّ الأصول معقّدة ويصعب إتمامها في الحالة الراهنة مع الحصار وفي ظلّ عدم قدرة المستثمرين القطريين على مباشرة العملية في دول الحصار.

أوضح هذا الفصل وجهات نظر وآراء المشاركين في الحصار ووصف كيفية تأثيره على الأسرة. وقد برزت قضايا رئيسية من المقابلات والمناقشات الجماعية المركّزة التي فضّلت هذا الأثر. وأظهرت النتائج أن الأسر تواجه عقبات جديدة لم تشهدها من قبل. إنّها قضية مروعة ومزعجة للأسر التي لا يعرف بعضها كيفية التعامل مع التحدّيات الناشئة عن الحصار وقد تؤدي إلى تفكّك أسري على المدى الطويل وتؤثر على العلاقات الأسرية. وسيناقش الفصل التالي الآثار والتوجّهات المستقبلية نتيجة للحصار وما يمكن تقديمه من خدمات لدعم الأسر والأفراد المتضرّرين.

الفصل الرابع: الآثار والاتجاهات المستقبلية

تعتبر حالة حصار قطر مثلاً على إحدى الأزمات التي قد تعصف بمختلف الدول. فالأزمة من منظور اجتماعي تُفهم على أنها حدث هام أو سلسلة من الأحداث التي تؤدي إلى تغييرات رئيسية في حياة المتضررين. ويمكن أن يُطلق مصطلح الأزمة على الكوارث الطبيعية (مثل الفيضانات، والزلازل، والأعاصير، وغيرها) والأحداث المفجلة (مثل الصراعات، ونزوح السكان، والحوادث الواسعة النطاق، وغيرها). وتفهم الكارثة على أنها «اضطراب شديد، بيئي ونفسي، يتجاوز إلى حد كبير قدرة الفرد على التكيف» (WHO, 2018).

ويُعزى أصل نظرية الأزمة، في الدراسة الكلاسيكية لينديمان، لردود فعل الحزن. وأنشأ لينديمان (Lindeman, 1944) الإطار الأساسي لتحديد الأزمات؛ ولاحظ أن الحزن الحاد هو رد فعل طبيعي على حالة أو حدث يفضي إلى الحزن، وأشار إلى أن ردود الفعل هذه تتسم ببعض الخصائص التي يبدو أنها تشكل متلازمة مختلفة وبارزة. واستخدم علماء لاحقون، مثل جيرالد كابلان، نظرية لينديمان كأساس لتطوير ممارسات التدخل في الأزمات. وقدم كابلان (Caplan, 1964) تعريفات عدة لمعنى «الأزمة» ويؤكد فيها على «أن الأزمة تحدث عندما يواجه الشخص مشكلة يبدو أنه لا حل فوري لها، ويبدو أنه سيصعب حلها باستخدام الأساليب المعتادة لحل المشكلات، ما يتبعه فترة من الاضطراب والتوتر يبذل خلالها الفرد العديد من المحاولات لحل المشكلة. وفي نهاية المطاف، يتم تحقيق نوع من التكيف والتوازن يمكن أن يترك الشخص إما في حالة أفضل أو أسوأ منه قبل الأزمة» (Poal, 1990: 123-124; Caplan, 1964).

تجلى لنا، في حصار قطر، أن الأسرة كوحدة كانت المتضرر الأكبر في الأزمة الراهنة. وأوضحت لنا النتائج التي تمت مناقشتها في الفصول السابقة أن عددًا كبيرًا من الأسر يمر، بسبب الحصار، بالعديد من الأزمات التي قد تكون اجتماعية، أو صحية، أو تعليمية، أو مالية. ويستلزم الوضع محاولة معالجتها والتصدي لها من خلال القيام ببرامج تدخل لإعادة وضع الأسر لما كانت عليه وتحسين نوعية وجودة الحياة لمن لحقه الضرر.

١.٤ تطبيق برامج التدخلات

تناولت البحوث بإسهاب أهمية التدخلات على المستوى الفردي والأسري والمجتمعي في حالات الأزمات. وتتعدّد أشكال التدخلات التي يمكن تصنيفها إلى فئتين واسعتين هما النفسية والنفسية الاجتماعية.

ويركّز النهج النفسي على الأفراد بدلاً من المجتمع، مع التركيز على الأشخاص الذين يمكن وضعهم في فئة تشخيصية. وفي هذه الفئة، استخدمت أنواع مختلفة من التدخلات، مثل تعزيز المهارات الإدراكية والسلوكية، ولكن هذه الأنماط أثبتت فاعليتها على البالغين أكثر منها على الأطفال. ويمكن تطبيق ذلك على المستوى الفردي وعلى المشاركين المتأثرين بمشاكل نفسية وردت الإشارة إليها في قسم التحديات الصحية والنفسية.

وتؤكد التدخّلات النفسية الاجتماعية على استرجاع أكبر عدد ممكن من الحالات والسلوكيات التي كانت قائمة قبل الحصار، وإعادة بناء الشبكات المجتمعية التي تعزز الترابط بين الناس وشعورهم بالأمان وأنهم واقفون على أرض صلبة. ونحن بحاجة إلى ربط ثلاثة عوامل بتنمية القدرة على التكيف لدى المشاركين وهي: الخصائص الفردية، والخصائص الأسرية، والخصائص العامة للنظام الاجتماعي أو المجتمع المحلي. تلعب جميع هذه العوامل دورًا هامًا في تصميم برنامج يلبي احتياجات المتضررين (Analayti, 2012:9).

ويتصل مفهوم التدخّل المتعلق بقدرة الأسرة على التكيف بشكل أكبر بالوظائف الأسرية وتحديّ التفكك الأسري. ويبنى هذا التدخّل على نظرية العلوم الاجتماعية والبحوث المتعلقة بالضغوط والتأقلم والتكيف. قام لازاروس وفولكمان (Lazarus & Folkman, 1984) بتطوير نموذج التقييم المعرفي للضغوط والتأقلم المرتكز على الفرد، وهو نموذج متعدّد المستويات ومتعدّد المعالجات للتكيف، وكان له تأثير على نطاق واسع. وتعامل الضغوط باعتبارها مفهومًا تفاعليًا، يصف السلوكيات التكيفية بين الأشخاص وبيئاتهم، وينطوي على تقييم الاحتياجات والفرص. وتهدف التدخّلات إلى الحدّ من مستويات الضغوط، وتسعى إلى تحقيق أفضل تكيف لفرد معيّن في بيئة معيّنّة (Lazarus, 1968; Lazarus & Folkman, 1984).

وتشتمل أبعاد قدرة الأسرة على التكيف على عمليات مثل التماسك، والمرونة، والاتصال المفتوح، والقدرة على حلّ المشكلات، وتأكيد منظومة العقائد. كما أنّ توافر الموارد المجتمعية والتواصل مع الأسرة ضروريان لمساعدة الأسرة على التكيف، بالإضافة لتوفير الأمن المالي، والمساعدة العملية، والدعم الاجتماعي، والإحساس الأساسي بالترابط من خلال شبكات الأقرباء والصدقات والجماعات الدينية.

وقد أشارت البحوث إلى أنّ الأسرة كانت موردًا مهملاً في التدخّلات الرامية إلى تعزيز القدرة على التكيف لدى الأطفال والبالغين. ومن المهم أن ندرك أنّ التدخّلات الناجحة تعتمد بشكلٍ متساوٍ على موارد الأسرة وعلى مهارات الاستشاري الذي يقدم لها الدعم (Walsh, 1996). ويتم ضبط الجهود العلاجية لتتلاءم مع التحدّيات الخاصة بكل أسرة ويتم تطويع موارد الأسرة لمواجهتها (Walsh, 1996). ويشجع نهج ضبط الجهود العلاجية للعلاج الأسري على التعاون بين أفراد الأسرة، بحيث يمكنهم من بناء وتجديد مهارات الدعم المتبادل وتعزيز الثقة المشتركة بقدرتهم على التأقلم مع الضغوط (Walsh, 1996)

ونستعرض هنا أهم التدخّلات اللازمة، ومنها:

- تمكين الأسر من إدارة المواقف المحمّلة بالضغط.
- استحداث شبكات توفير الدعم.
- توفير المزيد من النظم التي من شأنها تعزيز الروابط المجتمعية التي فقدتها معظم الأسر.
- إنشاء مجموعات التعليم النفسي والمساعدة الذاتية المتعدّدة للأسر لتعزيز قدرتها على التكيف، بحيث توفر هذه المجموعات معلومات مفيدة، واستراتيجيات للتكيف، ودعمًا اجتماعيًا للأسر التي تمرّ بأزمات.

- تطبيق الممارسات الاجتماعية القائمة على الإبداع مثل الاستشارات الجماعية القائمة على الفن العلاجي للأطفال.
- توفير الاستشارة عبر الهاتف أو الخط الساخن أو الانترنت التي توفر للعملاء المزيد من السيطرة على العملية العلاجية، وتلقي المساعدة الفورية، وتضمن المحافظة على الخصوصية.

وعلاوة على ذلك، ينبغي أن تشمل برامج التدخلات للأسر والأفراد ما يلي:

- برامج الحد من الضغوط، وإعادة ربط ثقافتهم وتقاليدهم، ومساعدتهم على استعادة الأمل في المستقبل، وإعادة بناء الشبكة الاجتماعية، وتنمية احترام الذات والثقة بالنفس، وإنشاء شبكة من العلاج والتثقيف النفسي.

- برامج متخصصة، بما في ذلك العلاج الجماعي والمعالجة النفسية الفردية. وتعتبر مشاركة الأفراد في عملية إعادة التأهيل في المجتمع مهمة لكونها تعطي الأفراد شعوراً بأنهم لم يعودوا ضحايا بل فاعلين في المجتمع. وتساعد المهام التي توكل للأطفال واليافعين على تنمية شعور صحي بالتعمير من الناحيتين العملية والنفسية كما يساهم قيامهم بأدوار في المجتمع المحلي في زيادة ثقتهم واعتدادهم بأنفسهم وتعزيز إعادة تأهيلهم (Walsh, 1996).

سوف تساعد مثل برامج التدخلات هذه بشكل كبير على تخطي الكثير من التحديات الاجتماعية والصحية النفسية التي تواجه العديد من الأسر بسبب الحصار، وذلك لوجود الدعم الكافي من مختلف المؤسسات مما يؤمل أن يساهم في سرعة تخطي الأزمة.

٢.٤ برنامج التدخلات من أجل الأطفال

بسبب خصوصية وضع الأطفال وحساسيته، لابد من عمل برامج تدخلات خاصة بهم، تتناسب مع احتياجاتهم العمرية والنفسية. فيما يلي بعض التدخلات المقترحة التي تركز على نهج يتمحور حول الأسرة ويمكنها من الحد من الآثار المترتبة على الحصار ومساعدة الأطفال المتضررين على استعادة جودة حياتهم.

١.٢.٤ الأماكن الآمنة للأطفال: توفر الأماكن الآمنة مزيجاً من حماية الطفل، والدعم النفسي الاجتماعي، والتعليم في حالات الطوارئ لمجموعات من الأطفال. وقد تشتمل على أنشطة للأطفال من مختلف الفئات العمرية، وتهدف إلى أن تكون منابر لحشد وإشراك المجتمعات المحلية والأسر.

٢.٢.٤ الآليات المجتمعية لحماية الطفل: إشراك المنظمات غير الحكومية لتيسير تشكيل لجان رعاية الطفل ورصد الاستجابة والتثقيف بشأن المخاطر الناتجة عن الأزمات مثل الحصار.

٣.٢.٤ الدعم المدرسي: يشتمل على دعم الصحة العقلية والمساندة النفسية الاجتماعية. وقد تشمل فصولاً دراسية داعمة للأطفال وتفاعلات مع المدرسين، وأنشطة تعبيرية، وضبطاً غير عنيف للأطفال، وحلاً للمنازعات، وإحالات للأطفال الذين يحتاجون إلى مزيد من الدعم إلى جهات توفير الدعم.

وهناك أشكال أخرى للتدخلات قد تكون ذات صلة أكبر بالأطفال المعنيين مثل اللعب العلاجي،
والعلاج بالفن، والعلاج باستخلاص المعلومات، والعلاج بلعب الأدوار ورواية القصة.

٣.٤ دعم الأسرة

يشتمل دعم الأسرة على خطوات لتطوير المهارات الوالدية، مثل مهارات الاتصال، والانضباط
واللاعنف، والتنظيم الذاتي لزيادة فهم الآباء لنمو الأطفال وإدارة الضغوط.

٤.٤ الإسعافات الأولية النفسية

يستوجب تقديم خدمات الدعم أثناء الأزمات وبعدها، مثل الاستماع الداعم، وتقديم المعلومات،
ومساعدة الناس على الوصول للخدمات اللازمة، وإدارة ردود الفعل الناجمة عن الصدمة، والرعاية
الذاتية، والتنظيم الذاتي، والعلاج النفسي الذي قد يشتمل على المعالجة السلوكية الإدراكية،
والعلاج النفسي بين الأفراد.

وتحتاج التدخلات المذكورة أعلاه إلى مزيد من الدراسة من أجل تنفيذها، ولكن لا يسعنا التعمق
فيها في هذا البحث. وهناك حاجة إلى إجراء بحوث أخرى للتحقيق في برامج التدخلات
والتخطيط لها فيما يتصل بحالة الحصار في قطر.

الفصل الخامس: الخاتمة

قدّمت هذه الدراسة نظرة عن كثب للتحديات والصراعات اليومية التي نشأت نتيجة للحصار وتأثيرها على الأسر التي تعيش في قطر. وتبيّن لنا أنّ آثار هذا الحصار عميقة وكبيرة على الأسر، فجوانب الحياة الاجتماعية والنفسية والصحية والتعليمية تواجه تحديات يتوجّب على هذه الأسر التصدي لها والتكيف معها. وما زالت الأسر في حالة صدمة وتعاني في مجال التكيف والتعايش مع الوضع الجديد الذي فرضه عليها الحصار قسراً، وقد تستغرق عملية التكيف وقتاً لإيجاد الاستراتيجيات الملائمة لتحقيقها.

ومن بين التأثيرات السلبية المباشرة مسألة تشتت الأسرة وعدم رؤية الأقارب وانقطاع العلاقات، والتي تتطلب توفير العلاج والمشورة للآثار النفسية الناجمة عنها على نحو يراعي حساسية الوضع، وهو ما قد لا يتوفّر دائماً كما قد لا يتوفّر التدريب الثقافي الكافي لمقدمي هذه الخدمات. وفي الوقت الذي تواجه فيه الأسر تحدياً، نرى أنها لا تنفك تثبت حكمتها وقدرتها على الصمود وتستमित في محاولاتها على التكيف والاعتماد على بعضها البعض. وتوفّر بعض المؤسسات العديد من أوجه الدعم، كالدعم المقدم من كيانات مثل اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان أو الخط الساخن لمركز الحماية والتأهيل الاجتماعي «أمان»، الذي يقدم وجهات نظر الخبراء لما هو ضروري وما يمكن عمله.

وفي حين تواجه بعض الأسر مشكلات صحية/نفسية بسبب عدم تمكّنها من رؤية عائلاتها، يواجه البعض الآخر تحديات مادية أو تعليمية يصعب معرفة مآلها. لكن الأسر أعربت بأن الأمل ما زال يحدوها وأنها متمسكة بالصبر رغم كل شيء. وتبقى بعض الأسئلة دون إجابات واضحة، إذ لم تظهر في الأفق بعد معالم انتهاء الأزمة ولا أثر الحصار على الأسر على المدى البعيد، ما يحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق.

1. Analayti, A (2012). War affected Children: Psychological Trauma and Intervention. <https://pdfs.semanticscholar.org/9d28/1769f9620ef1373fef7fb2c33b7221aa9d25.pdf> (accessed 4 April 2018).
2. Braun, V. and Clarke, V. (2006). Using thematic analysis in psychology. *Qualitative research in Psychology*, (2)3. pp. 77-101.
3. Caplan, G. (1964). *Principles of Preventive Psychiatry*. New York: Basic Books.
4. Carlson, M.J. & Corcoran, M.E. (2001). Family Structure and Children's Behavioral and Cognitive Outcomes. *Journal of marriage and family*, 63(3), 779-792.
5. Charmaz, K. (2006) *Constructing grounded theory. A practical guide through qualitative analysis*. London: Sage publication.
6. Hampson, R.B. & Beavers, W.R. (1993). Measuring family competence: The Beavers systems model. In Walsh, F. (Ed.), *Normal family processes*, (2nd ed.) (pp.104-137). New York: Guilford Press.
7. Lazarus, S, 1968. Emotions and adaptation: conceptual and empirical relations, in W.J. ARNOLD (ed.), *Nebraska Symposium on Motivation 1968*, University of Nebraska Press, Lincoln, Nebraska.
8. Lazarus, R S and Folkman, S. (1984). *Stress, Appraisal, and Coping*. New York: Springer.
9. Lindemanne, E. (1944). Symptomatology and management of acute grief, *American Journal of Psychiatry*, 101, pp. 141 -148.
10. Marks, S. P. (1999). Economic sanctions as human rights violations: reconciling political and public health imperatives. *American journal of public health*, 89(10), 1509-1513.
11. Murthy, R. and Lakshminarayana, R. (2006). Mental Health Consequences of War: a brief review of research findings, *World Psychiatry*, vol. 5:1 pp. 25-30.
12. Olson, D. H. (1993). Circumplex Model of marital and family systems: Assessing family functioning. In Walsh, F. (Ed.), *Normal family processes*, (2nd ed.) (pp.104-137). New York: Guilford Press.
13. Peksen, D. (2011). Economic sanctions and human security: the public health effect of economic sanctions. *Foreign Policy Analysis*, 7(3), 237-251.
14. Poal, P (1990) Introduction to theory and practice of crisis intervention in *Quaderns de Psicologia*. 10, 121-140.
15. Shagabutdinova, E., & Berejikian, J. (2007). Deploying Sanctions while Protecting Human Rights: Are Humanitarian "Smart" Sanctions Effective? *Journal of Human Rights*, 6(1), 59-74.
16. Shore, J.)1986(. *Disaster stress studies: new methods and findings*. Washington D.C: American Journal of Psychiatry.
17. Slaikeu, K. A. (1990). *Crisis intervention: A handbook for practice and research* (2nd ed.). Needham Heights, MA, US: Allyn & Bacon.

18. Taylor, E (2009). Cuba: religion. Social, capital and development in The Australian journal of anthropology. Vol 20, issue 3, pp 393-395.
19. Walsh, F (1996). The Concept of Family Resilience: Crisis and Challenge. Wiley Online Library.
20. WHO, Definitions: emergencies (2018)“Crisis”. <http://www.who.int/hac/about/definitions/en/> (accessed 20.4.2018).

21. أحمد محمد عبدالخالق، عويد سلطان المشعان (١٩٩٤). «إدراك الآثار النفسية للعدوان العراقي لدى طلاب الجامعة الكويتيين». مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٧٤ ص: ٢٦٥-٢٨٦ - دولة الكويت.
22. بشير صالح الرشيد (١٩٩٤). «الخريطة النفسية والاجتماعية للشعب الكويتي بعد العدوان العراقي». مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٧٤ ص: ٢٨٩-٣١١ - دولة الكويت.
23. شبكة الجزيرة الإعلامية. التقرير الأول عن الانتهاكات الحقوقية جراء حصار قطر، ٢٠١٧/١٠/١٧.
24. عبدالعزيز الغانم (١٩٩٤). «دراسة حول مشاكل الشباب الجامعي في الكويت في مرحلة ما بعد العدوان العراقي». مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٧٤ ص: ٢٢١-٢٦٠ - دولة الكويت.
25. عبدالوهاب محمد الظفيري (١٩٩٤). «العدوان العراقي على دولة الكويت وآثاره المادية والمعنوية على مؤسسات الرعاية الاجتماعية - دراسة استطلاعية». مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - دولة الكويت.
26. قاسم علي الصراف (١٩٩٢). «الآثار السلبية لأزمة الاحتلال العراقي على الجوانب السلوكية والانفعالية والمعرفية للشباب الجامعي في الكويت». مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٦٧ ص: ١٧-٤٩ - دولة الكويت.
27. مركز الجزيرة للدراسات (٢٠١٧) «تقدير موقف حصار قطر: التقديرات والارتدادات»، ص: ١-٧ دولة قطر.
28. هادي مختار، جاسم الخواجه، جاسم حاجيه، جاسم أشكناني (١٩٩٢). «الآثار الاجتماعية والنفسية الناجمة عن الاحتلال العراقي للكويت». المجلة التربوية للعلوم الإنسانية، عدد ١٠ ص: ١٧٠-٢٠٥ - دولة الكويت.

www.difi.org.qa

